مُذكّرات
نوري السعيد

عن الحركات العسكرية
للجيش العربي



في
الحجاز وسوريا
١٩١٦ - ١٩١٨

الدار العربية للموسوعات

مذكرات

نوري السعيد

عن الحركات العسكرية للجيش العربي


اخراج وتنفيذ
الدار العربية للموسوعات
ص.ب ١٣/٥٣٤٨ تلكس ARATRD LE٢٣١٠٧
هاتف ٣٥٢٥٩٨ ـ ٣٥٣١٩٤ ـ ٣٥١٣٣٩
بيروت ـ لبنان

مُذكّرات
نوري السعيد
عن الحركات العسكرية
للجيش العربي

في

الحجاز وسُوريا

١٩١٦ ـ ١٩١٨

القاها

الفريق الركن نوري السعيد

على

طلاب كلية الأركان ببغداد
في مايس ١٩٤٧

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الثانية
١٩٨٧

نوري السعيد

ولد نوري بن سعيد بن طه في بغداد عام ١٨٨٨ ، من عشيرة القرغول البغدادية . وكان والده سعيد طه ، موظفاً في الادارة التركية في العراق ، فقرر أن يكون ولده ضابطاً في الجيش ، يتمتع بمكانة إجتماعية مرموقة ووطنية صادقة ، فأدخله في الابتدائية العسكرية في بغداد ، ثم ألحقه بعد تخرجه بالكلية العسكرية في الآستانة حيث تخرج منها برتبة ضابط عام ١٩٠٦ .

بعد تخرجه عيّن في وحدة عسكرية راكبة ، مكلفة بتحصيل الضرائب في بغداد ، فأمضى في الوظيفة أربع سنوات تزوج خلالها من عائلة العسكري المعروفة ، ثم التحق بكلية الأركان في اسطنبول عام ١٩١٠ . وقبل أن ينهي دراسة الأركان شارك في حروب البلقان ضد البلغار عام ١٩١٢ . وفي العام التالي انضم إلى جمعية العهد العربية السرية ومعظم أعضائها ضباط عرب في الجيش العثماني . وقبل أن يتمكن الأتراك منه بسبب نشاطاته السياسية ، انتقل إلى البصرة في العراق ، والتحق بمجموعة ثورية ضد الحكم العثماني ، بزعامة طالب النقيب .

سقطت البصرة في أيدي البريطانيين ، فاقتيد نوري السعيد أسيراً إلى بومباي في الهند حيث أمضى سنة كاملة نقل بعدها إلى القاهرة عام ١٩١٥ .

في القاهرة تعرف نوري السعيد إلى مجموعة من العرب والبريطانيين كانت تخطط للثورة العربية ضد العثمانيين ، بزعامة الشريف حسين ، شريف مكة ولورانس البريطاني فانضم إليها ، ثم سافر إلى جدة بدعوة من

الشريف حسين . ولم تمضي فترة وجيزة على ذلك حتى تسلم منصب رئيس أركان الملك فيصل في سوريا ، عام **١٩١٨** ، ثم سافر إلى لندن وباريس ليراقب عن كثب المناقشات المتعلقة بالمستقبل العربي ، وفي العام **١٩٢٠** دعاه صهره جعفر العسكري إلى سوريا ليتسلم رئاسة أركان الجيش العراقي المشكل حديثاً .

في بغداد التقى نوري السعيد السيدة كورترو دوبل وإثر المقابلة قالت : « منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها أيقنت بأننا أمام قوة هائلة ، أما أن نستثمرها أو ندخل معها في معركة مريرة صعبة » .

خلال وجوده في رئاسة الأركان ، عمل نوري السعيد على تنظيم وزارة الدفاع والشرطة وفي العام **١٩٣٠** عيّن لأول مرة رئيساً للوزراء ، ثم تناوب على هذا المنصب ثلاث عشرة مرة قبل أن يصبح رئيساً لوزراء الاتحاد الهاشمي قبل وفاته في عام **١٩٥٨** .

الحُسين بن علي والثورة العربيّة

(١٣٣٤هـ = ١٩١٦م)

ازداد نفوذ الدولة العثمانيّة في الجزيرة العربيّة في مطلع القرن التاسع عشر، وبعد أن فتح السلطان سليم العثماني مصر والعراق، أرسل رسولاً منه الى شريف مكّة (بركات) يبلّغه أنَّ السلطان يقرُّهُ على إمارته إذا هو وافق على الدعاء له في الكعبة. وكانت هذه الرسالة الوديّة كافية لأن يبعث بركات ابنه (أبو نمي) الى مصر ليعلن للسلطان سليم ولاءه. وسر السلطان سليم بذلك وأقر (بركات) على الإمارة. وبركات هو الذي أضاف في الدعاء للسلطان عبارة «خادم الحرمين الشريفين».

وكان الحجاز يتمتع بالإستقلال الداخلي التّام في إدارة شؤونه وتكاد سيادة العثمانيين تكون اسميّة. وكان كبار الأشراف يختارون أميرهم فيصدر السلطان فرماناً بتعيينه بصورة رسميّة. ولكن بعد مدّة من الزمن حدثت خلافات بين الأشراف ممّا فتح الباب لتدخّل الحكومة المركزيّة كما حدث في عام ١٨٥١ عندما ألقوا القبض على الشريف (محمد عون) ونقلوه الى استانبول خشية أن تحدثه نفسه بطردهم من البلاد. وأثناء إقامته في المنفى، ولد لابنه علي في ١٨٥٣م ولدٌ أطلق عليه اسم (حُسين).

وهو (الحُسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون) من أحفاد أبي نمي ابن بركات، الحسني الهاشمي. وُلِد في الآستانة، كما ذكرنا، وكان أبوه منفياً بها. وانتقل معه الى مكّة، وعمره ثلاث سنوات. فتأدَّب في (أم القرى)، في مهبط الوحي، ونظم الشعر، ومارس ركوب الخيل والصيد.

وأحبّه عمّه الشريف (عبدالله باشا) أمير مكّة فوجّهه في المهمات، فدخل نجداً وأحكم علاقاته بالقبائل. ومات أبوه وعمّه وآلت إمارة مكّة الى عمّه الثاني «عون الرفيق» فلم يحتمل هذا تدخله في شؤون الإمارة، فعمل على إبعاده من الحجاز الى الآستانة سنة ١٣٠٩هـ، وجعل فيها من أعضاء مجلس شورى الدولة.

كان الحُسين رجلاً عميق الغور شديد التكتم والحذر، قليل البوح بآرائه الشخصية، وكان بطبعه ورعاً شديد التديُّن والتقوى، حسن السيرة مستقيماً مترفعاً عن الصغائر، ولهذا كان دائماً مُحاطاً بالإعتبار والإحترام من كبار رجال العاصمة سواءٌ منهم العرب أو الأتراك، ولم يُعرف عنه هناك إلاّ الرزانة وقوة الشخصية وشدة الغيرة على دولة العروبة والإسلام.

أقام الحُسين في العاصمة العثمانيّة مدّة ستّ عشرةَ سنة، انصرف خلالها الى العناية بأولاده والإشراف على تربيتهم وعلى تعليمهم، تربية تليق بأصالة وشرف أرومتهم الهاشميّة. وكانت زوجته قد تُوفيت قبل نفيه بأربع سنوات فاتّخذ في العاصمة العثمانيّة زوجة ثانية من عائلة تركيّة مرموقة فأنجبت له ابنه الرابع زيداً وثلاث بنات.

وهكذا مضت الأعوام الستة عشر وجاء الإنقلاب العثماني، وأُعلن الدستور، وقدّمَ الحُسين مذكّرة الى السلطان والصدر الأعظم كامل باشا يطالب بتعيينه أميراً لمكّة على أساس أنّه أكبر أفراد العائلة الهاشميّة سنّاً وأحقّهم بمقام آبائه، فصدر الفرمان السلطاني بتعيينه أميراً لمكّة، كما صدر فرمان آخر بإسناد رتبة الوزارة إليه. وكان من شأن هذا التعيين من السلطان، أنه أغضب حزب الإتحاد والترقّي عليه، فكان بدء الخلاف بينه وبين كلّ حكومة إتحاديّة، كما ذكر الملك عبدالله في مذكّراته.

ثم جاء الصدر الأعظم لتوديعه في الميناء وقدّم إليه مذكّرة يؤكّد له فيها أنّ إمارة الحجاز مرتبطة مباشرةً بمقام الخلافة، وإن إعلان الدستور لا يؤثّر في حقوق الإمارة التقليديّة. وهكذا غادر (الحُسين) منفاه عائداً الى بلاده ووطنه ليقوم بمهام المنصب الخطير الذي أُسند إليه بجدارة، وقد عقد

العزم أن يحافظ على كلّ الصلاحيات المنوطة به، ويقوم بواجب المحافظة على تقاليد منصبه الذي كان يوازي، بحسب ترتيب الأهميّة في مناصب الدولة العالية، منصب الصدر الأعظم.

بدأ الحُسين العمل بهمّة ونشاط منذ اليوم الأوّل لوصوله، وكان يشتغل بشؤون حكومته وشعبه ما معدّله ١٤ـ١٥ ساعة يوميّاً، يعالج الأمور والمشاكل بنفسه مباشرةً، مع ميل الى البساطة في كلّ شيء، ممّا عجّل في توطيد نفوذه في الحجاز، وكسب ولاء الأهلين وثقتهم سواء منهم البدو أو الحضر.

ومع توطيد نفوذه في الحجاز، حاول الملك حُسين أن يحافظ على طبيعة العلاقات بينه وبين الدولة العثمانيّة، دون أن تخلّ هذه الموازنة بمكانته بين العرب الذين أخذوا في هذه الفترة ينزعون نحو المطالبة بالحصول على حقوقهم، والإعتراف بمكانتهم وأن يكون لهم في مسار أمور الدولة بعض النصيب.

كان الملك يعمل خلال ذلك كلّه بما يُمليه عليه اعتقاده المخلص وهو أنَّ مصلحة العرب والعثمانيّين واحدة، لكن على الأتراك بدورهم، أن يعوا هذه الحقيقة، ويخطّطوا سياستهم بهذا الإتجاه، نستدلُّ على ذلك من رسالة بعث بها الملك الى أخيه ناصر، عضو الأعيان في استانبول، وقد طلب منه أن يبلّغ الصدر الأعظم مضمونها.

«يلزم تعلمون أنَّ الدولة ليست محصورة في الترك بل لنا النصيب الأعظم في الشورى وحقّ الرأي»

وأخذت سياسته تميل تدريجيّاً لتنسجم مع موقف بقيّة زعماء العرب الإصلاحيّين الذين كانوا ينادون باللامركزيّة وبأن تنال الولايات العربيّة قسطاً كبيراً في اتخاذ القرارات. باعتبار أنَّ العرب شركاء في تحمُّل المسؤوليّة ضمن نطاق الدولة العثمانيّة الواحدة. وكان مِنَ الطبيعيّ أن تنال سياسته هذه تأييد الزعماء العرب وتعاطفهم بعد أن أصبح الحُسين الحاكم الفعلي للحجاز وظهر استقلاله في الرأي واضحاً من قوله، «فما نراه أصلح نعمل

به وما نراه مُضرّاً ومخالفاً فنردّه لهم» لذلك نرى خمسة وثلاثين نائباً من الأعضاء العرب في مجلس «المبعوثان» يوجّهون للملك المذكّرة التّالية:

«الى السند المعظّم والشريف الأعظم حُسين باشا أمير مكّة أدامه الله.

نحن نوّاب العرب في مجلس المبعوثان، نُقِرُّكَ على إمارة مكّة، ونعترفُ لكَ دون سواكَ بالرئاسة الدينيّة على جميع الأقطار العربيّة، لأنّك الآن خُلاصة بيت الرسُول (ص). وإجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهرُ به عند الحاجة والله يحفظكَ لأمّتك».

وجاء في الرسالة التي بعثَ بها طالب النقيب زعيم ولاية البصرة مع هذه المذكّرة قوله، إن هؤلاء الأتراك «سوف يقتادوننا الى المشانق كما تساق الأغنام الى المسالخ، إذا كنّا نحنُ العرب لا نوافقهم على آرائهم ونسيرُ بأوامرهم. إنّ نوّاب العرب كافّة يؤيّدون مولاي بكلّ قواهم وألسنتهم وقلوبهم، وإنّا مستعدّون للقيام الى جانبكم إذا قمتم لخلع هذا النير الذي أثقلَ كاهل العرب وسعيتُم لانتشالهم ممّا هُم فيه من الظلم والعبوديّة وإني مرسلٌ إليكم وثيقة أمضاها ذوو الشجاعة والإقدام من إخواننا العرب يعرضون أن تدافعوا عن حقوق أمّتكم، ويعترفونَ لكُم بالخلافة».

كانت تطوّرات الأحداث تتوالى بسرعة، باتجاه تأزّم حادٍّ في العلاقات الدوليّة بين محورين، ألمانيا، في المحور الأوّل، وبريطانيا في المحور الثّاني، وكلا المحورين يكتّلُ قواه بسرعة، ويثبّتُ مراكز نفوذه قبل اندلاع الحرب العالميّة الأولى.

في الوقت ذاته تطرّف قادة الدولة العثمانيّة، خاصّة قادة «الإتحاد والترقّي» باتجاه تتريك العناصر في الدولة، ولمّا جوبهت بمقاومة عربيّة جدّية قتلت جمهرة من حملة الفكرة العربيّة وطلائع يقظتها الحديثة. وشرّدت كثيرين، ونمت في بلاد الشام والعراق والحجاز روح النقمة على الترك والتتريك، بالإضافة الى دعوة الإنفصال والإستقلال عنهم.

كانت بريطانيا تراقب الوضع عن كثب، وتسعى بكلّ طاقتها لكسب

تأييد العرب لها في الحرب ضد الدولة العثمانيّة، وكان من الطبيعي أن تتّجه أنظارها الى الملك حُسين في مكّة، فراسلته، وراسلها (مراسلات الحُسين ـ مكماهون).

ولا ريب، أنَّ حضور بريطانيا القويّ في المنطقة، وما كان واضحاً من ضعف الدولة العثمانيّة وفقرها، جعلا الزعماء العرب يعتقدون أنَّ النصر في الحرب العالميّة (١٩١٤ـ١٩١٨م) سيكون من نصيب بريطانيا وحلفائها، وأنه لذلك يجدر بالعرب أن لا يبقوا مكتوفي الأيدي في ذلك الصراع الدولي الجبّار، ينتظرون مجيء سيِّد جديد يحكم بلادهم بدل السيِّد الذي سيأفل نجمه.

لقد كان الملك حُسين يعتقد أنَّ طول الإنتظار قد يؤدّي الى كارثة وأنه لا بُدّ من إجراء اتصالات جديّة مع الحكومة البريطانية، على الأقلّ لسبر غورها ومعرفة نيّاتها الحقيقيّة نحو العرب، معرفة الثقة والإستيقان.

ومع أننا لا نريد هنا دراسة طبيعة المراسلات بين بريطانيا والملك حُسين، لكنّنا نقول، ان الملك بعد دراسة، وموازنة، ونتيجة لثقته بالوعود البريطانيّة في استقلال العرب، أعلن ثورته، ونهض نهضته المعروفة، فأطلق رصاصته الأولى بمكّة في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م، ليعلن بداية الثورة على العثمانيّين، عن طريق التحالف مع الحلفاء، باتجاه استقلال البلاد العربيّة بزعامته وقيادته.

لهذا حاصر مَنْ كان في البلاد الحجازيّة من عساكر الترك، وأمدَّهُ الإنكليز بالمال والسلاح، ونُعِتَ بالملكِ «المُنقِذ». ووجّه ابنه فيصلاً الى سُورية فدخلها محرِّراً. وبانتهاء الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٨م تمت هيمنة الحُسين على الحجاز كلّه.

•

إنَّ هذه المذكّرات، للفريق نوري السعيد، مذكّرات ذات قيمة تاريخيّة عالية، فهي تُلقي الضوء على طبيعة مسار الحرب، بين قوّات الثورة العربيّة بقيادة الملك حُسين، والقوّات العثمانيّة، يوثقها المؤلف بشكل دقيق لأنّه عاصرها، وساهم فيها من موقع قيادي متميّز. فهي تهمّ كلّ

الدراسات التاريخيّة العربيّة المعاصرة، التي شغلتها، ولا زالت تشغلها هموم الأمّة العربيّة في طريقها نحو مكانة دولية قويّة ومحترمة بين القوى الدوليّة المعاصرة.

ولم تحاول الدار، في هذه المقدّمة، أن تخوض في أمر دراسة التطورات السياسيّة اللاّحقة للثورة العربيّة، ولحكومة الحجاز في مكّة، لكنها أرادت أن تضع لهذه المذكّرات، الإطار التاريخي والمناخ السياسي السائد في البلاد العربيّة أثناء الثورة.

- **سليمان موسى**، الحركة العربية (بيروت ـ ١٩٧٧م)
- **الزركلي**، الاعلام (بيروت ـ ١٩٧٩م)
- **د. جلال يحيى**، العالم العربي الحديث (القاهرة ـ ١٩٨٠م)
- **سليمان موسى**، المراسلات التاريخيّة، الثورة العربيّة الكبرى (عمّان ـ ١٩٧٨م)
- **د. أحمد قدري**، مذكّراتي عن الثورة العربيّة الكبرى (دمشق ـ ١٩٥٦م)
- **سليمان موسى**، الحُسين بن علي والثورة العربيّة الكبرى (عمّان ـ ١٩٥٧م)
- **غلمن، ولدمار**، عراق نوري السعيد (بيروت ـ ١٩٦٥م).

المقدَّمة

بناء على إلحاح كثير من الإخوان، فقد عزمتُ، بعون الله تعالى، على طبع مذكراتي في ثلاثة أقسام وها أنا أضع بين يدي القارىء الكريم القسم الأوَّل منها، وهو الذي يبحث عن الحركات العسكرية في الحجاز وسُوريا، منذ قيام الثورة العربية، حتى عقد الهدنة في ١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨، وقد وضعتهُ بشكل محاضرات ألقيتها على طلّاب كلية الأركان العراقية.

أمّا القسم الثاني، فسأخصصه للحوادث السياسية، منذ قيام الحركة العربية حتى خروج المغفور له الملك فيصل من سُوريا في ٢١ تموز ١٩٢٠.

وسيكون القسم الثالث خاصّاً بحوادث العراق السياسية، منذ تشكيل الحكم الوطني فيه، حتى انتقال المغفور له جلالة الملك فيصل إلى جوار ربّه سنة ١٩٣٢.

نوري السعيد

المحاضرة الأُولى

أُلقيت في كليّة الأركان في ٥ مايس ١٩٤٧

سيِّدي صاحب السموّ الملكي المعظّم

سادتي واخواني الضبّاط

كانت لديَّ مذكرات كنتُ أدونها يومياً منذ بدء الحركة العربية في أوائل العصر الحاضر. وقد تركتُ هذه المذكرات في دمشق عند سفري إلى باريس مع المغفور له صاحب الجلالة الملك فيصل الأوَّل، سموّ الأمير فيصل حينئذ، ولما رجعتُ الى سُوريا في مايس ١٩١٩ افتقدتها فلم أجدها، وقد علمت أنّ ولدي صباح، الذي كان لا يتجاوز السابعة من عمره، عثر عليها في غيابي، فأعجبته فعبثَ بها وبعثرها ولم يترك لي شيئاً منها. وهذا هو السبب فيما ستجدونه في محاضراتي من عدم تثبيت بعض تواريخ الحوادث أو الأرقام على صورة دقيقة، ومن إغفال بعض أسماء الأشخاص الذين اشتركوا معنا في العمل.

لقد حاولتُ أن أركز تفكيري وأعود بالذاكرة الى أيام الثورة

العربية لأستعرض الحوادث وأدوّنها كما وَقَعَتْ، إلّا ان كثرة أشغالي في أمور غير عسكرية، كما تعلمون، لم تمكنّي من تحقيق رغبتي، فقد قُدّر لي أن تدفعني مصلحة الوطن التي هي فوق كلّ شيء، الى الإشتغال بأمور لا أُحبّها، وصرفتني عن المهنة التي ارتضيتها لنفسي منذ نشأتي.

إنني أعتقد ان تاريخ الثورة العربية لا يكون كاملاً إلّا إذا دَوَّنَ كلّ مَن اشتركَ فيها مذكراته، وان مجموع هذه المذكرات سيكون التاريخ الكامل للثورة العربية.

لقد طلب اليَّ كثير من الرفاق أن أُدوّن مذكراتي وآخر مَنْ دفعني الى ذلك هم الذين أَلحّوا عليَّ في إلقاء هذه المحاضرات. وقد هيّأتُ نفسي لإلقاء محاضرتين عن الحوادث العسكرية في الحجاز، ولمّا علم حضرة صاحب السموّ الملكي الوصي المعظّم بذلك أمرني بالعناية بهذه المحاضرات ممّا اضطرني الى إعادة النظر في الموضوع والتوسع فيه، على قدر ما يسمح به الوقت، فاستعنت بأحد الشبّان وهو صديقي خليل ابراهيم الذي كان معتزماً السفر الى مقر وظيفته في سفارتنا في لندن، ورجوته أن يؤجل سفره وأمليتُ عليه هذه المحاضرات لألقيها عليكم في ثلاث مرات متوالية.

إنَّ هذا الحشد من الشباب في قاعات الدرس يذكرني بأيام شبابي. فقد نشأتُ جندياً كما نشأتم، وترعرعتُ جندياً كما تترعرعون، ولبيّتُ نداء الوطن في مختلف الظروف وشتى الجبهات طالباً وضابطاً وقائداً. وهذا ما آمله فيكم وهو ما

تنتظره البلاد منكم، فأنتم قادة الجيش في المستقبل وعلى مبلغ ما ستبذلون وتضحّون يتوقف نمو الجيش وتعزيز كيانه.

وأودُّ ان أسترعي انتباهكم الى نقطة هامّة وهي أنّي لم أدوّن تفاصيل الحركات العسكرية على صورة مفصلة إلّا انّي سأشرحها لكم شرحاً وافياً على المخططات والخرائط وأرجو ان تضبطوها بأنفسكم.

استعراض تاريخي

وقبل ان أتوغّل في موضوع محاضرتي لهذا اليوم، أرى مِنَ المفيد أن أستعرض حالة العراق والبلاد العربية قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الأُولى ١٩١٤ـ١٩١٨، ثم قيام الثورة العربية وانسلاخ البلاد العربية عن الأمبراطورية العثمانية بعد ذلك.

لقد بلغت الأُمّة العربية أَوج عزها ومجدها في عهد الدولة العباسية، فاتسعت رقعتها وازدهرت معاهدها وتضخمت مواردها. ثم دَبَّ الإنحطاط الخُلقي والتفرُّق في صفوفها وتململت عوامل الدسّ والفوضى، فكانت فتن وحركات أدَّت الى الإنقسام ثم الإنهيار، ولم تَقُم للعرب قائمة منذ ذلك التاريخ، حتى أوائل هذا القرن، وخاصة مِنَ الناحية السياسية.

البلاد العربية تحت النير العثماني

لا يُخفى ان البلاد العربية بقيت تحت سيطرة الدولة العثمانية قروناً عديدة وكانت هذه الدولة، بمجموعها، في تدهور

مستمرّ في كلّ مناحي الحياة، فسادَ الجهلُ بعد العلم، وتفشّى المرض واختلّ الأمن، وعمّت الرشوة والإنحلال الخُلقي، ولم يكن للحكومة من هدف غير جباية الأموال وصرفها في عاصمة الأمبراطورية، في وجوه لا تنفع في كثير من الأحيان.

لا بُدّ وأنكم قرأتم الشيء الكثير عن المسألة الشرقية والأدوار التي مرَّت بها، فقد توسعت الأمبراطورية العثمانية توسعاً عظيماً واحتلت جزءاً كبيراً من أُوروبا وآسيا وافريقيا، ثم استنام الخلفاء والقادة ولم يلتفتوا الى ما يقتضيه هذا التوسع من الحيطة واليقظة.

الحركات الإنفصالية ومطامع الدول

ولما بدأ القرن الثامن عشر، كانت عوامل التفسخ والإنحلال بادية واضحة. فقد كان الأمن مختلاًّ في معظم أجزاء الأمبراطورية، والرشوة متفشية، وانعدم العدل وساد الظلم وخيَّم الجهل والمرض والفقر على تلك الربوع وبدأت الحركات الإنفصالية تنشط بين العناصر المسيحية فتكوّنت دول في صربيا واليونان وبلغاريا تشجعها العوامل السالف ذكرها ويلهب حماسها نشاط الدول الكبرى، التي بدت مطامعها في التوسع على حساب الأمبراطورية العثمانية، ولم يبق ما يحفظ لهذه الأمبراطورية كيانها غير التوازن الدولي.

كانت الأمبراطورية تسيطر على جزء كبير من البلاد في القارات الثلاث الغنية بمواردها الزراعية والمعدنية، كما كانت

تسيطر على كثير من المواقع السوقية كالمضايق والجزر، فكان طبيعياً ان تكون هذه الميزات مطمح أنظار الدول الراغبة في التوسع، كبريطانيا وروسيا وفرنسا.

وقد شرعت هذه الدول في إقامة رؤوس جسور لها في داخل الأمبراطورية العثمانية، فمنها مَن ادّعت حقّ حماية مصالحها التجارية، ومنها من ادّعت حقّ حماية الأقليات الدينية، ومنها من ادّعت حقّ حماية الأقليات العنصرية، وهكذا، أصبح لهذه الدول نفوذ وتنافس وكانت كلّ منها تنتظر القضاء على الرَجُل المريض للإستيلاء على ميراثه.

محاولات الإصلاح

يجب أن لا ننسى ان بعض المصلحين من العثمانيين حاولوا إصلاح الحال وإعادة الأمور الى نصابها، إلاّ انهم لم يفلحوا في ذلك، وكان آخر وأعظم مَنْ حاولوا الإصلاح، مدحت باشا، الذي أعلنَ الدستور الأوّل سنة ١٨٧٦.

وكان هؤلاء المصلحون مختلفين في طرق الإصلاح، فمنهم مَنْ كان يفكر في تنظيم الدولة على أساس عنصري، بشكل ممالك متحدة، لكلّ منها استقلالها في تدوير شؤونها الداخلية، كالمعارف والصحة وغيرها، على أن تربط الجميع سياسة عامة في شؤون الدفاع والكمارك والمواصلات وغير ذلك. ومن هؤلاء مَنْ فكر في إدارة البلاد التي تسكنها عناصر غير تركية، على طريقة إدارة مستعمرات أو وفقاً لإدارات خاصة. ثم أُعلِنَ الدستور للمرة الثانية في سنة ١٩٠٨، وكان الأمل أن يكون

إعلانه بداية عهد الإصلاح والنهوض، إلاّ ان السياسة التي اعلنتها الحكومة العثمانية بعد صدوره، أثارت النفور بين العرب والترك. وقد حاول العرب الوصول الى التفاهم إلاّ انهم لم ينجحوا في مسعاهم وبقي التأزم قائماً بين العنصرين حتى أَعْلَنَ العرب ثورتهم في خلال الحرب العالمية الأولى.

الجمعيات العربية

تألفت في الفترة الواقعة بين ١٩٠٨ و١٩١٤ عدّة جمعيات عربية غرضها الإصلاح. وكان منها جمعية العهد التي ألّفها الضباط، عزيز علي المصري والمرحوم سليم الجزائري، وطه الهاشمي، مع أشخاص آخرين كنتُ أنا مِنْ ضمنهم، وكان هدف هذه الجمعية منحصراً في إصلاح الحال على أساس النظام الإتحادي (فيدراسيون)، ولم يفكر أحد منّا في الإنفصال عن الأمبراطورية العثمانية وإنما كان تفكيرنا منصبّاً على الحصول على إدارة عربية محلية ولغة عربية رسمية على أن نشترك والعنصر التركي في إدارة سياسة الدولة العامة التي مَرَّ ذكرها، وكان بين الترك مَنْ يؤيد هذه الفكرة ويؤازرها، كمصطفى كمال، الزعيم التركي الذي عُرِفَ فيما بعد بأتاتورك.

ظهور الحركة القومية عند العرب

إندفع الأتراك، على أثر إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ في الغلوّ في قوميتهم ممّا ولَّد ردّ فعل لدى العرب جعلهم يتعصبون لقوميتهم ويطالبون بمعاملتِهم، مع الأتراك، على قدم المساواة

دون ان يتطرق أحد منهم الى فكرة الإنفصال، ومع ذلك فقد أصاب شباب العرب المناضلين عن حقـوق بلادهم، الشيء الكثير من الظلم والأذى.

وفي شهر نيسان ١٩١٤ خرج عزيـز علي المصـري من السجن الذي دخله نتيجة لخطة مدبرة، بعد ان مكث فيه أكثر من شهرين، وغادر تركيا عائداً إلى مصر. وفي نفس الوقت، كنا مع بعض شباب العرب، قد صممنا عـلى الذهـاب إلى الجزيرة العربيّة للعمل مع زعماء العرب وأمرائهم لتقوية نفوذهم داخل الجزيرة واطلاعهم على ما هو جار في العالم، والاستعانة بآرائهم ونفوذهم الشخصي، لتحقيق المطاليب العربية المعقولة ضمن الأمبراطورية العثمانية. ولم يكن هدفنا حينئذ القيام بأية ثورة مسلحة. وكنتُ أنا شخصياً، ممّن يرون هذا الرأي. وكان الوسيط بيننا المرحوم السيِّد طالب النقيب وأشخاص آخرون، من بينهم، المحامي سليمان فيضي الذي كان نائباً في مجلس النواب العثماني، ومزاحم الباجه جي. فسافرتُ أنا والدكتور عبدالله الدملوجي من الآستانة، ولمّا وصلنا الى البصرة، أصابني مرض حال دون مواصلتي السفر. فسافر الدكتور الدملوجي بمفرده الى مقر ابن السعود على أمل أن التحق به بعد شفائي. غير ان نيران الحرب العالمية الأولى لم تلبث ان اندلعت واشتركت فيها الدولة العثمانية الى جانب المانيا. ولمّا احتل الإنكليز البصرة كنتُ لم ازل مريضاً في المستشفى، فنقلوني الى الهند حيث بقيتُ مدّة من الزمن ثم نقلوني إلى مصر دون أن أعلم سبباً لذلك حتى الآن، وكان ذلك في سنة ١٩١٥.

المداولات في مصر

ولمّا وصلتُ الى مصر اتصلتُ ببعض الإخوان ومنهم عزيز علي المصري وشريف الفاروقي ورؤوف عبد الهادي فعلمتُ منهم أن حالة الدولة العثمانية غير مستقرة لا سيما بعد دخولها الحرب وانهم يؤيدون ضرورة العمل لإنقاذ العرب وتحقيق أهدافهم. وقد بلغني أن هناك مخابرات جارية مع جلالة المغفور له الملك حُسين، وأن الحكومة العثمانية في سُوريا شنقت بعض شباب العرب ورجالهم، وأن المحاكم العرفية مستمرّة في محاكمة عدد غير قليل منهم، وأن خطة حكومة الإتحاديين ترمي الى القضاء على رجال العرب وإبادتهم بتهمة القيام بثورة ضد الخلافة والإنفصال والخيانة واتهام قسم منهم بالتآمر مع الدول الأجنبية.

لقد أُلصقَتْ حكومة الإتحاديين هذه التهم برجال العرب ظلماً وعدواناً، إذ لم يكن لها ظلّ من الحقيقة، ذلك لأن الجمعيات العربية المختلفة لم يكن هدفها غير الإصلاح وتشكيل حكومات محلية أو إدارات لا مركزية ولم يخطر ببال أيّة جمعية عربية فكرة الإنفصال عن الدولة، وذلك لأننا كنّا على علم تامّ بمطامع الدول في الأمبراطورية العثمانية وانه ليس للعرب مِنَ القوّة والمؤهلات ما يمكنهم من تأسيس حكومة عربية مستقلة والمحافظة على كيانها.

ولمّا كنّا نتداول مع عزيز علي المصري في شأن البلاد العربية كنّا نجهل تمام الجهل المذاكرات التي كانت جارية بين جلالة المغفور له الملك حُسين وبين ممثل الحكومة البريطانية، كما كنّا

عاجزين عن فهم ما يُراد بالبلاد العربية، وماذا ستكون النتيجة إذا أعلنَ العرب الثورة على الحكومة العثمانيّة، وكيف نستطيع أن نضمن مستقبل البلاد واستقلالها ونحن نعلم مطامع الدول التي لم تكن خافية منذ أمد بعيد. وقد وصلتنا في ذلك الحين برقيتان من جلالة المغفور له الملك حُسين، إحداهما الى عزيز علي المصري والثانية إليَّ، وفيهما يطلبُ الينا الحضور فوراً إلى مكّة المكرّمة مع مَنْ يرافقنا من رجال العرب.

فتداولنا في الأمر ونظرنا في وجوهه المختلفة، وحسبنا النتائج التي ستتمخّض عنها تلبية الدعوة، وعدمها، فاستقر الرأي على أن أُسافر وحدي للإطلاع على الحالة هناك والإستماع الى آراء المغفور له الملك حُسين، والإطلاع كذلك على المذاكرات الجارية بين جلالته وبين الإنكليز، ثم الإبراق بهذه المعلومات الى عزيز علي المصري واخواننا رجال العرب في مصر.

مقابلة المرحوم سعد زغلول

وقبل مغادرتي مصر رأيتُ من المفيد أن أتصل بالمرحوم سعد زغلول، وكنتُ مِنَ المعجبين به، لأستمزج رأيه، فلما عرضتُ عليه الأمر وجدته في حيرة شديدة بالنظر للغموض والملابسات التي كانت تحيط بالموقف، الاّ انه خرج من حيرته بقوله: «إن وضع البلاد العربية وضع شعب محكوم لا يملك من أمره شيئاً فإذا استطعتم أن تكوّنوا لهذا الشعب وضعاً آخر، وضعاً إستقلالياً، فسيكون لكم الفضل في هذا، وإذا

خبتم فلن تضيعوا شيئاً عدا أنفسكم وسمعتكم، فأنتم لستم مِنَ المقامرين بشيء، أنتم مِنَ المجاهدين تسعون لتحقيق شيء، فإذا لم تتوصلوا اليه، فلا لوم عليكم إلّا بقدر ما يمسّكم من كلام ونقد، وان الأمر يتوقف على النتائج التي ستحققونها، فإذا كانت نتائج عظيمة فعملكم سيُقاس بها، وإذا فشلتم، فلا بدّ من أن يُحكم عليكم ولا تكونون قد أضعتم شيئاً موجوداً في الوقت الحاضر. فليس لبلادكم كيان تجازفون به كما هو الحال بالنسبة الى الدولة العثمانية، فإنها إذا خسرت الحرب ستخسر شيئاً كثيراً».

فما كان منّي، حين سمعتُ هذا الحديث من المرحوم سعد زغلول، إلّا أن نقلته الى عزيز علي المصري، وكان يطابق النتائج التي توصلنا اليها في مداولاتنا.

غادرتُ مصر، وتشرفت بمقابلة المغفور له جلالة الملك حُسين، وسأحدثكم بما دار بيني وبين جلالته عند الدخول في صلب المحاضرة.

خلاصة المقدّمة

يتضح لكم من هذا العرض الموجز، أننا حين أقدمنا على الثورة، لم يكن لنا وضع أو كيان دولي نخشى عليه من الزوال. فلم تكن في البلاد العربية حكومة أو شبه حكومة حتى ولا إدارات محلية، وهو وضع يختلف كلّ الإختلاف عن وضع البلاد العربية الحاضر. كنا حينئذ إذا جازفنا فإنما كنا نجازف بأرواحنا

فحسب، أمّا الآن، فيجب ان نحسب كلّ حساب عند القيام بأي عمل، لئلاّ يؤدي عملنا الى كارثة يصعب تلافيها.

ويتضح لكم كذلك، أنّ عدم تحقيق الأهداف العربية بكاملها لم يكن نتيجة تفريط رجال العرب بحقوق بلادهم، بل نتيجة لعوامل دولية كانت تتبلور من قرنين وقبل أن يخلق جيلنا والجيل الذي قبلنا.

إعلان الثورة العربية

الحركات العسكرية

والآن، وبعد هذه المقدّمة، سأحدثكم عن الحركات العسكرية منذ أن أطلق جلالة المغفور له الملك حُسين، أوّل رصاصة لإعلان الثورة في **٩** شعبان سنة **١٣٣٥** المصادف **١٠** تموز **١٩١٦** حتى يوم عقد الهدنة مع الحكومة التركية في محطة قطمة، الواقعة في شمال حلب، وذلك بتاريخ **١** تشرين الثاني **١٩١٨**.

تقسيم البحث

ولأجل تسهيل البحث، سأُقسم محاضرتي الى أقسام ثلاثة:

القسم الأوّل: الحركات العسكرية في داخل الحجاز منذ بدايتها حتى سقوط العقبة.

القسم الثّاني: من سقوط العقبة حتى شهر أغسطس **١٩١٨**.

القسم الثّالث: تقدُّم الجيش العربي من شهر أغسطس **١٩١٨** حتى يوم إعلان الهدنة.

القسم الأوّل

حدثتكم في المقدّمة عن القرار الذي اتخذناه بنتيجة مداولاتنا في مصر وهو تلبية دعوة جلالة الملك حُسين وسفري الى الحجاز. وقد سافرتُ فعلاً والتحقَ بي عدد من الضبّاط المتطوعين وهم: سعيد المدفعي، والمرحوم السيد حلمي، وابراهيم الراوي، ورؤوف عبد الهادي، والمرحوم راسم سردست، والطبيبين المرحوم أمين المعلوف، وأحمد القباقيبي. كما التحق بي بضعة ضبّاط صف وعدد من الجنود لا يتجاوزون الأربعمائة متطوع وكان هؤلاء من الأسرى العراقيين في معتقلات الهند.

الوضع العسكري في الحجاز قبل السفر

إن الوضع العسكري في الحجاز، قبل سفرنا اليه، كان يتلخص في أن جدّة كانت قد سقطت بيد متطوعي العشائر والأهلين، وكانت الحامية التركية فيها تتألف من فوج واحد.

كما أن مكّة المكرّمة كانت قد سقطت بيد المتطوعين من أهلها الذين استولوا على ثكناتها، وكانت الحامية التركية فيها تتألف من فوج من المشاة وبعض المدفعية في قلعة جياد التي قاومت مدة ثلاثة ايام.

أمّا الطائف، فقد كانت محاصرة من قبل قوات جلالة الملك عبدالله، سموّ الأمير عبدالله آنذاك، المؤلفة من قوات بدوية يتراوح عددها بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠ مقاتل وبطّاريّة جبلية مصريّة

تحت قيادة اللواء السيِّد علي باشا. وكانت الحامية التركية فيها مؤلفة من فرقة مشاة واحدة.

أمّا المدينة المنوّرة، فقد كانت فيها فرقة تركية واحدة، كانت قد جُلبت على جناح السرعة من الشمال على السكة الحديدية، بقيادة فخري باشا، وكانت هذه الحامية مهدَّدة من الجنوب والغرب وأحياناً من الشمال وذلك من قِبل العشائر الحجازية التي انضمت الى المرحوم جلالة الملك علي، سموّ الأمير علي آنذاك، وكان مرابطاً في الجنوب ليكون حائلاً بين هذه القوات وبين مكّة. وكان المرحوم جلالة الملك فيصل الأوّل، سموّ الأمير فيصل آنذاك، مرابطاً في الجهة الغربية مهدِّداً مواصلات المدينة مع الشمال.

أمّا سلاح العشائر والمتطوعين فقد كان من البندقيات القديمة التي لا تصلح في حرب كالتي نحن بصددها.

السفر الى الحجاز

ولمّا غادرنا السويس، أنا ومَنْ معي، علمنا ونحن في الباخرة بأن القيادة البريطانية كانت قد شحنت معنا سلاحاً باسم الشريف حُسين يحتوي على بطّاريّة مكونة من أربعة مدافع قوس عيار ٤,٥ عقدة، وبطّاريّة صحراء عيار ١٨ رطلاً وبطّاريّة جبلية عيار ٢,٧٥ رطلاً، ونحو ثمانية رشاشات فيكرس و٢٠٠ صندوق رمّانات يدوية و١٠٠ صندوق من الديناميت من نوع الجلنيت ونحو ٤٠٠٠ بندقية مع كميات غير قليلة من العتاد.

الوصول الى ميناء جدّة

ولمّا بلغنا ميناء جدّة، وجدنا أنَّ الأسرى الأتراك الذين استسلموا في جدّة ومكّة يزيد عددهم على ٢٠٠٠ جندي، وكانوا يمرحون ويسرحون في أسواق جدّة بكلّ حرّية، وكانت البلدية مكلفة بأمر إعاشتهم. وقد اتصل بي جلالة الملك حُسين تلفونياً، ساعة وصول الباخرة، وأمرني بالسفر الى مكّة حالاً، إلّا أنَّ الصعوبات التي لاقيناها في تفريغ حمولة الباخرة من السلاح وايجاد الوسائط لنقلها الى مكّة، وعدم معرفتنا باللغة الإنكليزية لتدقيق القوائم ومعرفة محتويات الصناديق التي بلغت حوالى أربعة آلاف صندوق من أحجام مختلفة، كلّ ذلك اقتضى أكثر من ثلاثة أيام. إلّا أنَّ إلحاح جلالته بلزوم الإسراع في السفر الى مكّة اضطرني الى السفر مستصحباً قسماً من المدافع والرشاشات والرمّانات اليدوية وتاركاً أمر نقل باقي المعدات الى قائمقام جدّة الذي كان عيّنه جلالة الملك حُسين وهو الشريف محسن بن منصور، وقد اضطررنا كذلك الى ترك الدكتور أمين المعلوف ليساعد في نقل هذه المعدات، بالنظر لوقوفه على اللغة الإنكليزية. كما عيَّنا رؤوف عبد الهادي قائداً لميناء جدّة ولإدارة الشؤون العسكرية فيه والإشراف على تسفير الأسرى الأتراك الى المعتقلات في مصر.

المثول بين يدي جلالة الملك حُسين

وصلتُ مكّة المكرّمة وتشرفتُ بمقابلة جلالة الملك حُسين، فأعلمني جلالته، بأنه نصح الحكومة التركية بعدم دخول

الحرب، فلم تسمع. أمّا وقد دخلتها، فإن جلالته يعتقد بأنَّ الظفر سيتحقق للحلفاء في الميادين الأوروبية، وليس في هذه البلاد، وان الحرب ستنتهي باندحار الألمان وحلفائهم. ولمّا كانت نوايا الترك السيئة تجاه الأمة العربية قد ظهرت بكلّ وضوح، وكانوا قد شنقوا قسماً من نخبة رجال العرب ولا يزالون يطاردون الآخرين للقضاء عليهم، فما على العرب إلاّ ان ينتهزوا هذه الفرصة لتحقيق أمانيهم. ثم قال جلالته: هذه هي الأوراق والمخابرات اقرأوها، فإن وجدتم فيها نقصاً أكملوه. اعملوا لتحقيق ما ترغبون، فقد فتحتُ لكم الباب وما عليكم إلاّ استغلال الموقف لتحقيق أماني الشعب العربي، فإن انتهت الحرب بانتصار الألمان والأتراك، فإن البلاد العربية ستعود الى سابق عهدها دون أن تخسر شيئاً سوى هؤلاء الرجال الذين نهضوا لتحقيق أمانيها القومية، أمّا اذا حصل العكس وانتصر الحلفاء فمن يا ترى سيحمي البلاد العربية؟ وماذا ستكون حجة العرب في المطالبة بحقوقهم ومطامع الدول معروفة في بلادهم؟ لذلك فإن الواجب يحتّم علينا أن نتفانى في سبيل بلادنا وأن نطالب بحقّنا وسنرى ما يحققه الله لنا.

الإبراق الى عزيز علي المصري

ولمّا انتهت المقابلة خرجتُ من لدن جلالته وأرسلت برقية، بالرموز التي اتفقنا عليها، الى عزيز علي المصري، شرحتُ له فيها الوضع وطلبتُ اليه السفر حالاً الى الحجاز لتسلم قيادة الجيش العربي.

الإلتحاق بسموّ الأمير علي

بقيتُ في مكّة المكرّمة يومين وأنا أتوقع أن يصدر جلالته أمراً بالتحاقي بسموّ الأمير عبدالله للقضاء على حامية الطائف واحتلالها. إلّا أنَّ جلالته فاجأني بأمر الإلتحاق بسموّ الأمير علي في الشمال لنجدته فأوضحتُ لجلالته ضرورة تنظيم المتطوعين من العشائر والأهلين، والذين جاؤوا معي وتدريبهم على استعمال الأسلحة الحديثة لتكوين نواة الجيش العربي، إلّا أنّ جلالته أصرَّ على رأيه، وتمَّ الإتفاق على أن يتولى عزيز علي المصري القيادة تحت إشراف جلالته وأن يلتحق سعيد المدفعي على رأس بطّاريّة مدافع القوس بسموّ الأمير عبدالله لفائدة هذا النوع من المدافع في الحصار، وأنْ يبقى إبراهيم الراوي في مكّة للإشراف على أمر السلاح والتجهيزات التي اضطررنا الى تركها في مكّة، وأن استصحب معي المرحوم السيد حلمي مع بضعة من ضبّاط الصف العراقيين وبعض جنود المدفعية المدربين مع بطّاريّة مدافع جبلية وأربعة رشاشات ومائة صندوق من الرمّانات اليدوية وكمية من الديناميت وفوج واحد من المتطوعين المشاة من أهل مكّة مع ضابط واحد من أهل مكّة اسمه أحمد كاشف. وكان جلالته قد أعدَّ قافلة مكونة من أربعة آلاف جمل تحمل المؤن والذخائر وما يزيد على ألف وخمسمائة بندقية وألف صندوق من عتاد الأسلحة الخفيفة وكان على رأس هذه القافلة، الشريف باشا.

وتنفيذاً لأمر جلالته، تحركت الحملة متجهة الى معسكر الأمير علي، وكان حينئذ في وادي الاثب، وهو يبعد حوالى

خمسين كيلومتراً عن جنوب المدينة. فسلكنا الطريق الشرقي، ولما وصلنا السواركيه، التحق بنا الشريف شاكر، فعدلنا عن الطريق الشرقي الى طريق آخر كان من الوعورة بدرجة أنّه كان يصعب علينا قطع أكثر من عشرين كيلومتراً في اليوم الواحد مع أنّ معدل سيرنا اليومي كان لا يقلُّ عن أربع عشرة ساعة ليلاً ونهاراً.

الوصول الى وادي الاثب

وبعد مسير أكثر من أُسبوعين وصلنا وادي الاثب، وكنا في اثناء السير ندرّب بعض الجنود على استعمال البندقيات الإنكليزية كما جرّبنا المدافع الجبلية ودرّبنا بعض الجنود على استعمالها.

وقد لفتَ نظري عند وصولنا وادي الاثب أنَّ المواد الغذائية التي كنا نحملها قد استُهلك أكثر من نصفها، وهو أمر حيوي لا يمكن تجاهله.

مقابلة سموّ الأمير علي

ولّما تشرفتُ بمقابلة سموّ الأمير علي عند وصول الحملة، أردتُ أن أستوضح منه الوضع العسكري في هذه المنطقة. فأعلمني بأنَّ القوات التركية محصّنة في مضيق مجز حيث أَنَّ فيه غدير ماء وهو يبعد عنّا حوالى عشرة كيلومترات وأنَّ سموّه يجهل مقدار القوة التركية المحصّنة. وقد بحثتُ مع سموّه مشاكل التموين وإعاشة المتطوعين الذين تحت قيادته وعددهم يتجاوز الأربعة آلاف

من العشائر والمتطوعين من أهل مكّة. وكان بين هذه القوات وحدة من الهجّانة بقيادة ابن دخيل، وكان اكثرهم من المتطوعين من عقيل وكانت هذه الوحدة موجودة على عهد الأتراك ثم التحقت بجلالة الملك حُسين.

واني لن أنسى مبلغ السرور الذي عَمَّ قوات الأمير علي، حين وصولنا، ومعنا هذه المدافع الصغيرة والبندقيات الحديثة والرمّانات اليدوية التي اطلقنا عدداً منها أمامهم بشكل مظاهرة.

وقد ظلت قضية التموين والإعاشة تُشغلُ فكري، ذلك لأن ما بقي لدينا منها لا يكفي لأكثر من عشرين يوماً على أكثر تقدير، وان وصول المؤن من مكّة الينا يتطلب شهراً، فتداولتُ في الأمر مع سموّ الأمير علي، وعرضتُ على سموّه ضرورة تنظيم المواصلات بين معسكرنا وبين مكّة وفي نفس الوقت عرضتُ على سموّه ضرورة إجراء استطلاع لمعرفة القوة التركية المحصّنة في مجز، فأمر سموّه بعض أفراد حاشيته الخاصة وعدداً لا يزيد على العشرين شخصاً للقيام بهذه المهمة بقيادتي شخصياً، فاستصحبتُ معي المرحوم السيِّد حلمي وسبرنا غور القوة التركية بمصادمات خفيفة استطعتُ أنْ أعلمَ بنتيجتها بأنَّ القوة التركية لا تزيد على فوج واحد.

القضاء على ابن مبيريك

ولمّا عدنا وبدأنا نتداول في أمر الجيش العربي وتنظيمه وتموينه وما يجب علينا عمله، علمت في أثناء الحديث مع سموّ الأمير، أنَّ الشيخ ابن مبيريك، أمير رابغ، غير منقاد للحركة العربية وانه يخشى فيها إذا أراد الأتراك التقدم، أن يتقدموا

عن طريق رابغ الى مكّة، وهو الطريق السلطاني للحج، وانه مفتوح أمامهم، ومعنى ذلك أنَّ لا فائدة من وجود المعسكر العربي في أثب، تجاه فوج واحد من الجيش التركي، لذلك استرحمتُ من سموّ الأمير علي، السماح بالقضاء على ابن مبيريك أوّلاً وسدّ ذلك الطريق الحيوي في وجه الأتراك. إذ لا فائدة للجيش التركي من اتباع نفس الطريق الذي سلكناه من مكّة الى أثب، فأيّد سموّه هذا الرأي إلّا أنه كان يشكُّ في موافقة جلالة الملك حُسين عليه، غير ان سموّه اطلعني على كتاب موجه اليه من جلالة الملك وفيه يأمره بأن يسمع كلّ ما أبديه له من آراء وأن ينفذ الخطط العسكرية التي اقترحها، ثم قال لي: إذا أردتَ أنْ تنفذ هذه الخطة فما عليكَ إلّا أنْ توقّع على وثيقة بهذا الرأي وأنا مستعد لتنفيذها على مسؤوليتكَ. فوقّعتُ على كتابٍ مطوّل شرحتُ فيه فائدة هذه الخطة ثم قمتُ بتنفيذها. وكانت هذه الحركة مفاجأة لابن مبيريك ولم يعلم بها إلّا قُبيل وصولنا رابغ بساعتين، فهرب وترك كل ما كان لديه من مؤن وذخيرة وحتى أهله. وكان لهذه الحركة تأثير حسن، فقد ذهب بعض رؤساء العشائر في تلك المنطقة من الموالين لابن مبيريك الى مكّة لعرض الطاعة على جلالة الملك، فصادف وصولهم في نفس اليوم الذي وصل فيه الرسول الذي بعثنا معه الرسالة التي تتضمن عزمنا على هذه الحركة، ممّا أثلج صدر جلالة الملك وسرّه سروراً عظيماً. وبالقضاء على ابن مبيريك، قضينا على مشكلة التموين، حيث بدأت التجهيزات تصلنا من جدّة ورابغ عن طريق البحر ومن مكّة في مدة لا تتجاوز خمسة أيام.

وصول عزيز علي المصري وبعض المتطوعين

وبعد مرور بضعة أيام، علمنا بأن عزيز علي المصري وشريف الفاروقي وصلا مكّة. ولمّا أطلع عزيز علي على هذه الحركة استصوبها.

وفي الوقت نفسه وصلت باخرة من الهند الى رابغ تحمل متطوعين يزيد عددهم على ثمانمائة جندي وحوالى ثلاثين ضابطاً معظمهم من العراقيين، وكان بينهم، مولود مخلص، ورشيد معروف الانكورلي، وعبد الرزاق الخوجة، وعلي جودت، وشكر محمود، وشاكر عبد الوهاب الشيخلي، وعبدالله الدليمي، وحميد الشالجي، وعبد اللطيف نوري، وحامد الوادي، والمدفعي داود صبري، وجمال علي، وسامي عزيز المدفعي، وأحمد رشدي، وجميل الراوي، ورشيد المدفعي، وحسن معروف، ورشيد خماس، ومصطفى الشيخلي، وسعيد يحيى، ومصطفى التكرلي، وثامر السعدون، وكان بينهم من السوريين، حسن فهمي، وأحمد توفيق الحموي، وفائز الغصين، وضبّاط آخرون. كما وصل عن طريق البر عدد من الأطباء السوريين منهم، الدكتور محمود حموده.

تنظيم المتطوعين

وقد قمنا فوراً بتنظيم لواء مختلط من المتطوعين الذين وصلوا، ومن متطوعينا، وبدأنا بتحصين قرية رابغ ومينائها لتكون قاعدة لنا في الزحف على المدينة. وفضلاً عن ذلك، فقد سيَّر جلالة الملك أكثر من ألف متطوع بقيادة إبراهيم الراوي

وأمرهم بالإلتحاق بنا في رابغ، وكان على رأسهم سموّ الأمير زيد، وكان سموّه حينئذ لا يتجاوز الثمانية عشرة من العمر، ثم وافانا سموّ الأمير فيصل من الشمال، عن طريق البحر، وعزيز علي المصري من الجنوب، عن طريق البحر أيضاً. فعقدنا عدّة اجتماعات تداولنا فيها بشأن تنظيم الجيش والعمل ووضع الخطط للزحف والقتال، وقد اشترك معنا في ذلك ممثلون عن الحكومتين البريطانية والفرنسية. وكنتُ بالإتفاق مع عزيز علي المصري مصرّاً على ضرورة تجهيزنا بمدافع جبلية جديدة لأنه لا فائدة لنا، في تلك البلاد، من المدافع الثقيلة والخيول الأوسترالية التي لا نستطيع تأمين الماء والعلف الكافيين لها على صورة منتظمة. وقد حثّنا عزيز علي على ضرورة تقسيم الجيش إلى قسمين: القسم الأوّل، وهو المهم، يتكون وينمو ويحارب بصورة اعتيادية كبقية الجيوش، والقسم الثاني يتألف من جحفل سيّار مجهز بأسلحة خفيفة تكون مهمته الحركة وراء خطوط الأتراك في الجزيرة إلى القطر السوري وذلك لإلقاء الرعب والإرتباك في مواصلات الأتراك وشلّ حركتهم بحيث لا تستطيع القوات التركية أن تلحق به أضراراً جسيمة، فهو يتحرك كيف يشاء الى الشمال أو الجنوب ويعود إلى قواعده ليستريح ويتزود بما يحتاج اليه. وقد استحسن الأمير فيصل هذه الفكرة وطلب أن يكون هذا الجحفل تحت قيادته وأن تبقى القوّة الأصلية تحت قيادة أخيه الأمير علي. ولتحقيق هذه الفكرة تقرر أن يكون مولود مخلص، مشاوراً عسكرياً لسمو الأمير فيصل، وأن يلتحق بسموّه عبدالله الدليمي مع أربعة رشاشات وأن يكون الدكتور شرف، السوري، طبيباً لنواة هذا الجحفل. وعلى

ذلك عاد سموّ الأمير فيصل مع هذه القوّة إلى قاعدته في ينبع النخل.

سقوط الطائف

وبينما نحن منهمكون في هذا التنظيم، وصلتنا أخبار سقوط الطائف بيد الأمير عبدالله، واستسلام القوات التركية مع جميع معداتها إلى سموّه. وكانت هذه القوات تحت قيادة اللواء علي غالب باشا. فتفرغت قوات الأمير عبدالله وحضر سموّه إلى رابغ، فتداول مع سموّ أخيه الأمير علي، وتقرر أن نتعاون معاً في حصار المدينة من جهة الشرق في موقع يُسمى الحناكية، على أن تعود المدفعية التي كانت مع سموّه إلى رابغ، وقد سُميت هذه القيادة بالقيادة الشرقية.

ثم وصلتنا الى رابغ نجدة مصرية مؤلفة من فوج من المشاة وسرية رشاشات وبطّاريّة جبلية وكانت هذه القوة بقيادة اللواء السيِّد علي باشا. ووصلتنا كذلك بطّاريّة جبلية فرنسية بقيادة الكولونيل قاضي المغربي، وكان جنودها من المغاربة. ووصلنا أيضاً رفٌّ من الطائرات البريطانية بقيادة الميجر روس.

وصول نجدات تركية الى المدينة

وفي شهر تشرين الأوّل سنة ١٩١٦، وصلت إلى المدينة نجدات تركية قوية تقدر بأكثر من فرقة، فقرّرت القيادة التركية الزحف على مكّة. فخرج رتلان من المدينة فاندحرت أمامهما قوات الأمير فيصل في ينبع النخل، وتوجه الجيش التركي من

جهة أخرى نحو طريق الحج السلطاني الى الجنوب، بـاتجاه رابغ. وبناء عـلى أمر جـلالة الملك حُسـين، زحفت القوات العربية بقيادة الأمير علي من رابغ إلى الشمال، وكانت مؤلفة من أربعة أفواج من المشاة ونحو ١٦ رشاشة وبطّاريّة صحراء عيار ١٨ رطلاً وبطّاريتين جبليتين إحداهما عيار ٢,٧٥ والثانية تركية من مخلفات الأتراك، وبيرق هجّانة ابن دخيل المؤلف من ثمانمائة متطوع، وقوة عشائرية تتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من الهجّانة. وقد تركنا في رابغ القوات الأجنبية. فوصلت هذه القوة إلى آبار ابن حصاني، الواقعة على هذا الطريق، وكان بيننا وبين القوات التركية الزاحفة ٣٠ كيلومتراً، وكنا مصمّمين على الزحف في اليوم الثاني للإتصال بالقوات التركية وقد أعـددنا الخطة لذلك، وكان الفرح يملأ صدورنا للقاء الجيش التركي، وقد التحق بنا عزيز علي المصري ليشرف على سير القتال، وبينما نحن في هذا، إذ برسول يأتي من سموّ الأمير علي يطلب منّي الحضور أمامه، ولما قابلته أعلمني بأن العشائر المحلية قد لا يؤمن جانبها، وعليه فإن الأوفق أن تعود القوات إلى قاعدتها في رابغ، وعبثاً حاولت اقناع سموّه بتغيير رأيه لأن العشائر ستنحاز الينا إذا رأت اننا انتصرنا على القوات التركية، ولما لم أُوفق في مسعاي، اضطررنا إلى العودة إلى رابغ، وكان لهذا التراجع تأثير سيء في نفسية الجيش ومعنوياته.

ولا أريد أن أكتم عنكم الحقيقة في سبب إصرار سموّ الأمير علي على رجوع الجيش الى رابغ، كما اطلعنا عليها فيما بعد، وهو أن أحد الضبّاط دسَّ الى سموّه خبراً مفاده أنَّ عزيز

علي المصري كان متآمراً مع القائد التركي وأنّ في نيته أن يضرب المتطوعين من أهل الحجاز بهذه القوّة والقوّة التركية الزاحفة للقضاء على الحركة، ولما علمنا بهذه الدسيسة اضطررنا الى ابعاد ذلك الضابط. ولكن هذا الإجراء لم يزل الأثر السيء الذي تركته هذه الدسيسة والذي كان بعيد المدى بحيث ترك عزيز علي المصري الجيش وعاد الى مصر.

أمّا الجيش التركي، فقد واصل زحفه ووصل الى آبار ابن حصاني، وان العشائر الحجازية، ومنها فرع الأحامدة من عشيرة حرب، ثارت وراء خطوطه وعرقلت المواصلات ونهبت القوافل مما اضطرّ القائد التركي الى وقف الزحف والمرابطة في المواقع التي وصل اليها. وعبثاً حاول الأتراك حفظ خطوط مواصلاتهم مع المدينة. وكانت العشائر تأتي بالغنائم والأسرى الأتراك الى رابغ لتسلمها الى الأمير علي، وأحياناً تذهب الى ينبع لتسلمها الى الأمير فيصل.

وبعد مرور حوالى الشهرين، اضطرت القوات التركية الى الإنسحاب من مواضعها بصورة تدريجية، وذلك ليأسها من التغلب على العشائر وتأمين مواصلاتها.

وقد وصلنا ونحن في رابغ بعض الضباط المتطوعين، الذين كانوا قد أُسروا في جبهة القفقاس من قبل الجيش الروسي، ومنهم توفيق الدملوجي، وشكري الشوربجي من سوريا.

سفر سموّ الأمير زيد

وفي كانون الأوّل ١٩١٦ وردنا أمر من جلالة الملك حُسين يقضي بسفر الأمير زيد وبأمرته ألف من العشائر وفوج من المشاة في الطريق الفرعي الى الشمال متجهاً نحو غدير مجزان. فأحببتُ مرافقة سموّه لاستطلاع ذلك الطريق وجمع المعلومات عن القوات التركية في هذه المنطقة. ومن طريف ما أتذكره عن هذه الرحلة، أنَّ البرد كان قارصاً وكان سموّ الأمير لا يرتدي غير ثوب من القطن وعباءة صوف شتائية، ولم يكن سموّه يستطيع أن يرتدي أكثر من ذلك خشية ان يصل الخبر الى جلالة والده، فكان يأمر بعض الأفراد بأن يناموا في خيمته ليلاً لتدفئتها بطريقة التنفس، فما كان منّي إلّا أن قدّمتُ لسموّه قميصاً من الصوف وجوربان والححتُ عليه بارتدائها، فقبل بعد تردد شديد، وتخلص من هؤلاء الذين كانوا ينامون في خيمته.

بقيتُ مع سموّه بضعة أيام، وكانت الأخبار التي وصلتنا خلالها تدل على أنّ الأتراك قد توقفوا توقفاً تاماً عن الزحف الى الجنوب.

الزحف على بدر ووادي الصفراء

ولّما عدتُ الى رابغ وجدتُ استعدادات الأمير علي قائمة على قدم وساق للزحف على بدر ووادي الصفراء، وفي الوقت نفسه، كنا قد تسلمنا البطّاريّة الجبلية المصرية.

وبعد بضعة أيام زحفنا في هذا الإتجاه. وقد دلّت

استطلاعاتنا على أنَّ الجيش التركي يخندق في طرفي الطريق وفي طرف بئر درويش، وان قوته في هذه المنطقة لا تزيد على ثلاثة أفواج من المشاة وبطّاريّة مدفعية مع بضع رشاشات، فقررنا الإجهاز على المعسكر التركي بهجوم مباغت.

معركة بئر درويش

وبعد بضعة أيام زحفنا نحو بئر درويش. وبعد الإستطلاع، وجدنا أنَّ الأتراك يحتلون موضعاً دفاعياً على طرفي المضيق بفوج مشاة واحد وانهم أقاموا عدداً من الربايا على القمم الكائنة على جانبيه، وتركوا فوجين آخرين وراءهم في بئر درويش مع بطّاريّة وبضع رشاشات وكانت ربايهم مسيطرة على المضيق والطريق بنفس الوقت وقد حصنوها بالحجارة.

اما قوات الجيش العربي، فكانت تتألف من كتيبة هجّانة آمرها حميد الشالجي، وثلاثة أفواج مشاة، وبطّاريّة صحراء آمرها ابراهيم الراوي، وبطّاريّة جبلية مصرية آمرها داود صبري، وبطّارية اخرى هندية، وهي من طراز قديم بطيئة الرمي غير مجهزة بالدرع وكنا نسمي مدافعها بمدافع فكتوريا لقدمها، وثلاثة آلاف متطوع من العشائر بينهم قسم من عشيرة بني سعد، القاطنة بأطراف المضيق، وقسم من ثقيف والباقون من حرب.

ذهبتُ للإستطلاع للوقوف على موقف الأتراك وقواتهم في وادي الصفراء لمسافة ٢٠ أو ٣٠ ميلاً من قمةٍ تشرف على مواضعهم وعلى خيامهم. فقدرتُ قواتهم ورجعنا مساءً وأخبرت

سموّ الأمير علي بذلك، وكان معي ضابط الركن علي جودت، وصمّمنا على أن تهاجم العشائر المضيق والجبل (آ) وتقوم القوة النظامية بالتفاف من جهة اليسار لأن الأرض أسهل، ونهاجم العدو بعد نجاح العشائر في هجومها. وقد أوضحنا لسموّ الأمير علي انه اذا لم تنجح العشائر في هجومها، فإن القوة النظامية قد لا تستطيع الرجوع، وانها تكون معرّضة للخطر. فالحركة تنطوي على مغامرة ونجاح القوة النظامية متوقف تماماً على نجاح العشائر.

لذلك اهتم سموّ الأمير علي بهذه القضية، وجمع رؤساء العشائر وشيوخهم وبسط لهم الموقف وبيّنَ لهم خطورة مهمتهم، وأخبرهم بأنّ نجاح القوة النظامية متوقف على نجاحهم، وذلك بثباتهم واستيلائهم على القمة اليسرى (ب) على الأقل، لتتمكن القوة النظامية من الرجوع في حال الفشل. (لاحظ المخطط).

زحفت قوات العشائر ليلاً، ثم زحفت القوات النظامية من الوادي، وتجمعنا في محل كنا نخمن انه جنوب غربي التحكيمات التركية وخارج مدى تأثير نيران البندقيات. وعند الفجر سمعنا أزيز الرصاص مما دلنا على اشتباك العشائر بالأتراك فتهيأنا للتقدم، وفعلاً تقدمنا مسافة ثم توقفنا منتظرين المعلومات عن مدى نجاح العشائر، وقد تأخر الخبر الى حوالى الساعة ١٠٠٠ فذهبتُ بنفسي لأرى جلية الأمر فرأيتُ آخر ربيئة تركية تسقط بيد العشائر. وكان رجال العشائر يستخدمون طريقة خاصة للتخفي وذلك باستخدام عِمّة جسيمة وعالية لحمل الجنود الأتراك على فتح النار ظناً منهم أنها رؤوس العرب. ثم

أتاني مراسل موفد من سموّ الأمير علي وأخبـرني بأن المضيق بحوزتنا فتقدمتُ بالقوّة الأصلية وهكذا أصبح بإمكاننا التقدم من أي اتجاه كان. وقررنا القيام بالهجوم في صباح اليوم التالي. وفي الصباح، وجدنا الأتراك قد انسحبوا ليلاً، ولم تستطع قواتنا التماس إلّا مع مؤخرتهم ودخلنا بئر درويش في اليوم التالي.

كانت خسائرنا ١٠ قتلى و٢٠ جريحـاً من العشائـر و٣ جرحى من القوة النظامية. أما خسائر الأتراك في المضيق فكانت لا تقل عن ٣٠٠ قتيل وأسرنا حوالى ٢٠٠ أسير وغنمنا عتاداً وبندقيات وتجهيزات تركوها في معسكراتهم وبينها أدوات الطبخ.

كان بين الجرحى الأتراك نحو ٢٠ جريحاً مصابين بجروح خطيرة بينهم ٨ أو ٩ ضباط، فقررنا إعادتهم الى القيادة التركية للإعتناء بهم نظراً لطول خطوط مواصلاتنا واحتمال موتهم أثناء النقل.

لقد كان لنجاح معركة بئر درويش تأثير كبير في نتيجة الحرب في الحجاز، وفضلاً عن ذلك، فقد جعل للمتطوعين العرب النظاميين مركزاً كبيراً في نظر العشائر وأهالي الحجاز وزاد في احترامهم وتقديرهم للضباط، وجعل جلالة الملك حُسين يفكر في إحداث وسام النهضة على أثر هذه المعركة.

تطبيق ميثاق الهلال الأحمر

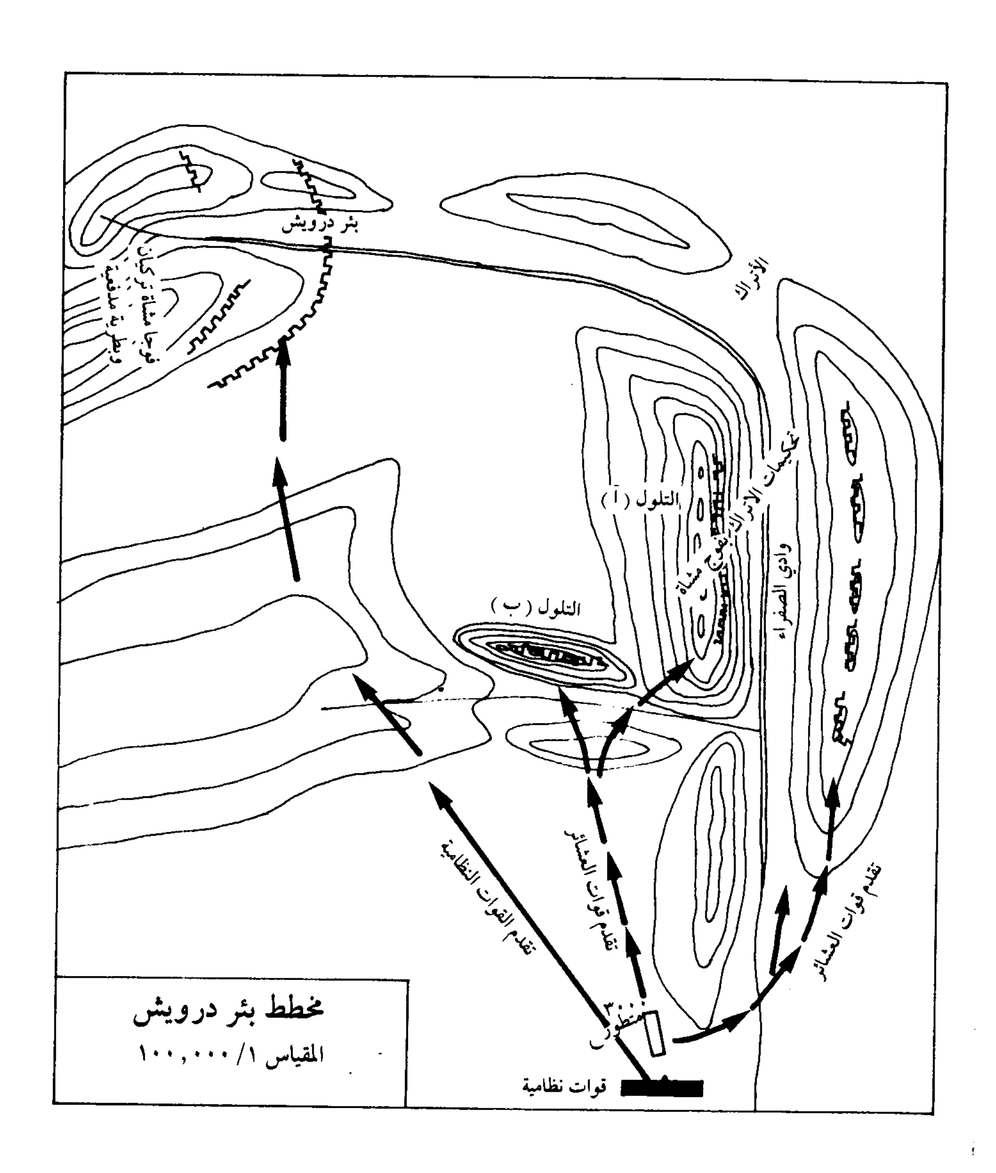
وكان تأثير هذه المعركة في نفسية الأتراك عظيماً جداً وذلك لأننا اعدنا اليهم ما يزيد على العشرين جريحاً من أسراهم الذين

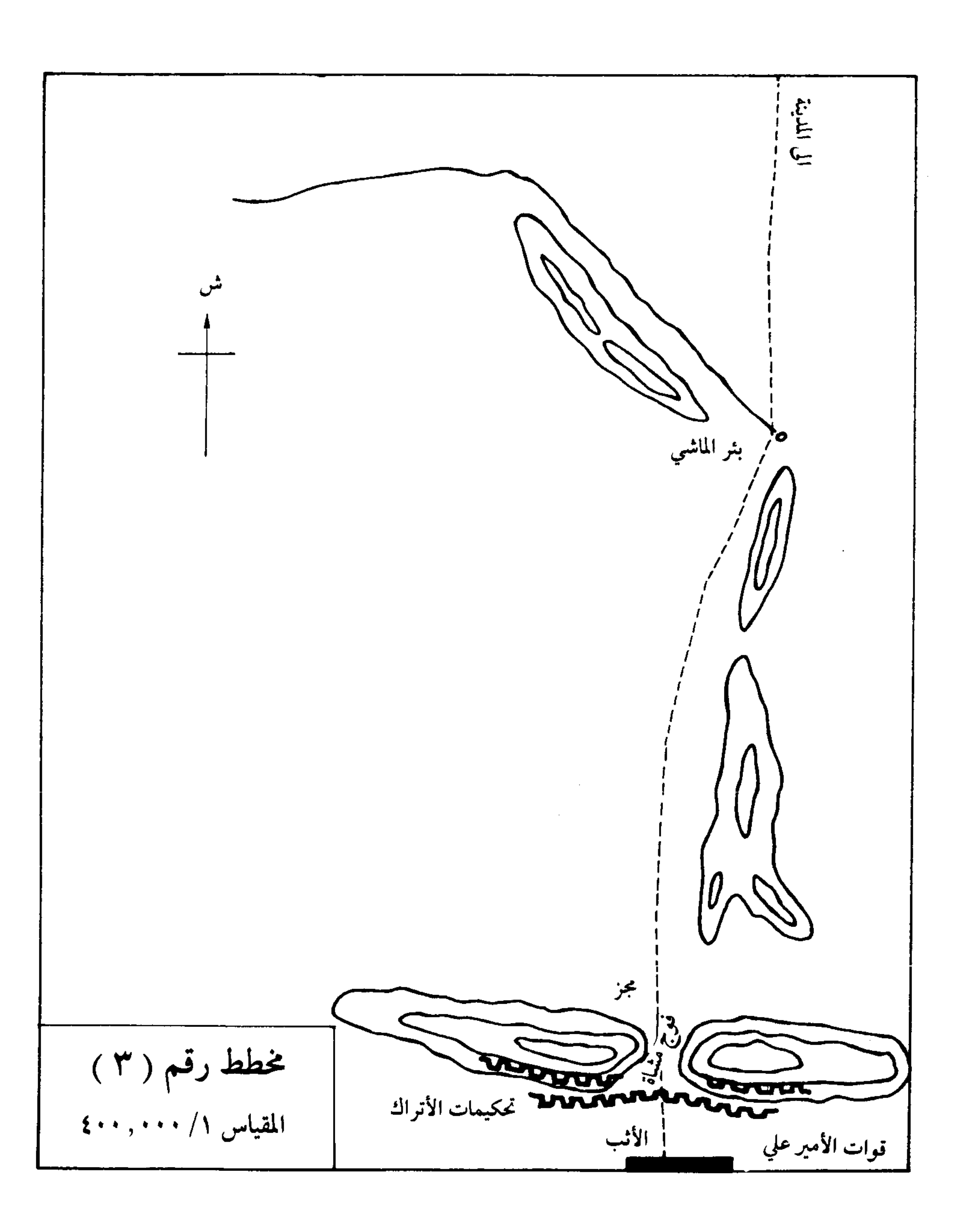
كانت جروحهم خطرة ولا يمكن نقلهم إلى المستشفيات في مصر. وفي الوقت نفسه وجّهنا رسالة إلى القائد التركي نبلغه فيها بأن أمامه جيشاً نظامياً ونطلب منه أن يكون التعامل بيننا بشأن الأسرى والجرحى على أساس ميثاق الهلال الأحمر. هذا بالإضافة الى مطالبتنا بانسحابهم من البلاد العربيّة وإخلائها وتسليم إدارتها إلى شريف مكّة وقيادة الجيش العربي، وحصر قتالهم في التخوم التركية. وقد أرسلنا الى بعض الضبّاط الأتراك من رفقائنا، الذين سمعنا بوجودهم هناك، بكميات من السكاير والحلوى. ثم جاءنا جواب القائد التركي وفيه يرفض الإعتراف بنا كجيش نظامي واعتبرنا من العصاة. فكان جوابنا على ذلك هو أن كلّ معاملة يعامل بها الأسرى العرب خلافاً لميثاق الهلال الأحمر ستقابل منّا بمثلها لا سيما وقد تجمّع لدينا من الأسرى الأتراك ما يزيد على أربعمائة ضابط وأكثر من عشرة آلاف جندي في ذلك الحين.

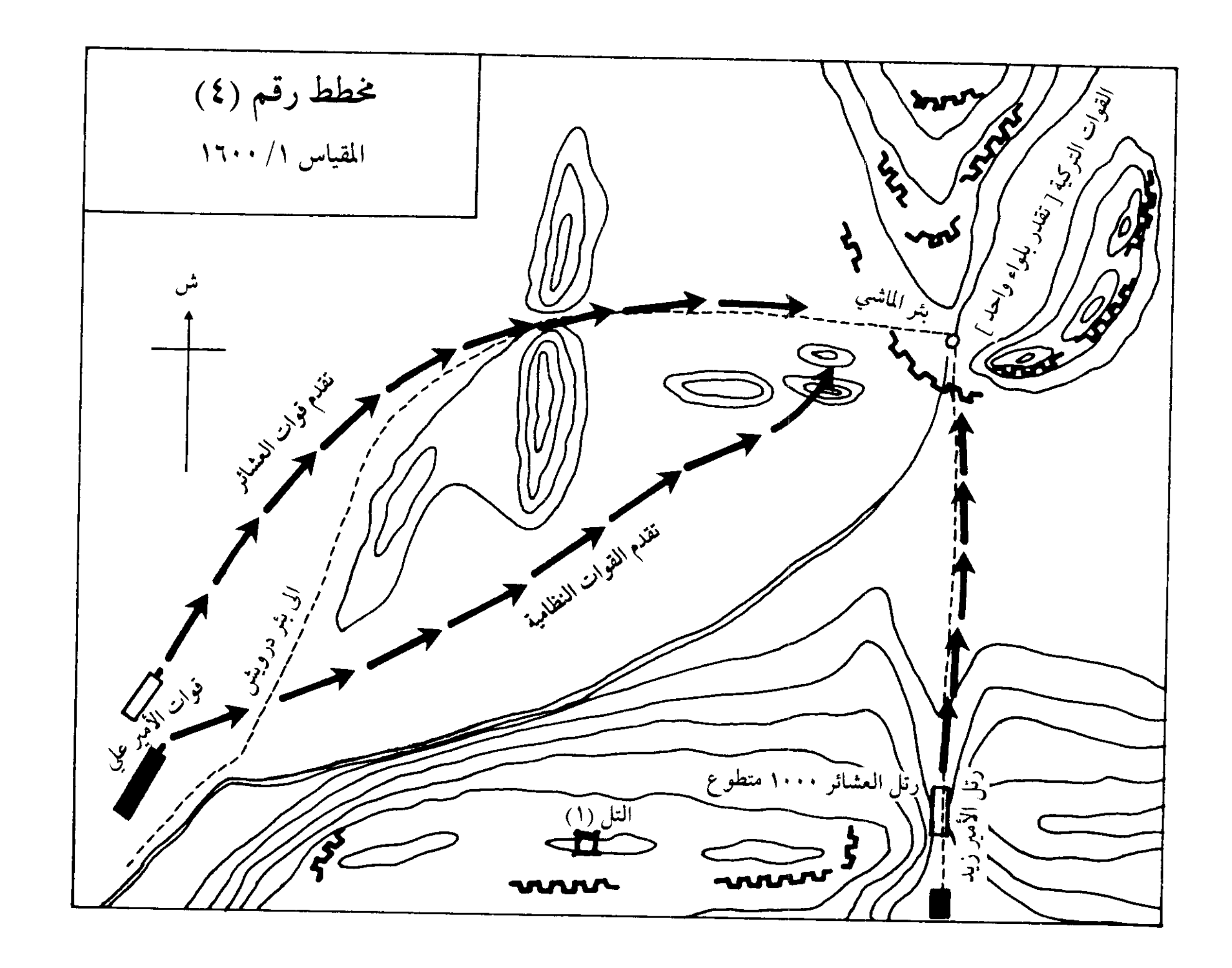
معركة آبار الماشي

وبعد سقوط بئر درويش بثلاثة أسابيع زحفنا على آبار الماشي، وطلبنا من سموّ الأمير زيد أن يلتقي بنا ويكون على ميمنتنا بمسافة تبعد عن تلك الآبار بنحو أربعة عشر كيلومتراً. وكانت قوّة سموّ الأمير زيد تتألف من نحو ألف من رجال العشائر وفوج من المتطوعين.

استطلعنا قوّة الأتراك ووجدنا أن الأتراك قد حصّنوا مواضعهم على الجبل (١) بدقة تزيد على دقتهم في تحصين بئر


بئر درويش
فوجا مشاة تركيان
وبطرية مدفعية
الأتراك
تحكيمات الأتراك
وادي الصفراء
التلول (آ)
التلول (ب)
تقدم القوات النظامية
تقدم قوات العشائر
تقدم قوات العشائر
منطور
قوات نظامية
مخطط بئر درويش
المقياس ١/ ١٠٠,٠٠٠


الى المدينة
ش
بئر الماشي
مجز
فج
ثنية
تحكيمات الأتراك
الأثب
قوات الأمير علي
مخطط رقم (٣)
المقياس ١/ ٤٠٠,٠٠٠


مخطط رقم (٤)
المقياس ١/ ١٦٠٠
ش
قوات الأمير علي
تقدم قوات العشائر
الى بئر درويش
تقدم القوات النظامية
بئر الماشي
القوات التركية [تقدر بلواء واحد]
رتل العشائر ١٠٠٠ متطوع
التل (١)
رتل الأمير زيد

درويش وبلغنا وجود ألغام في الوادي، وكانت قوّة الأتراك تقدر بلواء. وكان في إمكانهم جلب احتياط من المدينة وكان الماء متيسّراً للقوات المعسكرة هنا أكثر منه في بئر درويش، حيث يوجد في بئر درويش بئر واحد. وكان للأتراك مخفر على التل الجنوبي المنفرد (التل ١) ترابط فيه قوّة تقدر بفصيل واحد. وعليه قررنا أن يزحف سموّ الأمير زيد من الجنوب، بقواته النظامية والعشائرية، وسموّ الأمير علي من الغرب. وكانت الخطة كما يلي:

أ - تهجم العشائر من قوات الأمير زيد من الجنوب، إلى الأمام، وتكون القوات النظامية في الخلف احتياطاً لها.

ب - تهجم العشائر من قوات الأمير علي من الشمال الغربي نحو مواضع العدو، وتهجم القوات النظامية من جنوبي الطريق.

فتقدمنا وفقاً لهذه الخطّة واستولينا على المخفر، وانتخبت مواضع المدفعية وراء الجبل وحصلت في اليوم الأول مناوشات بسيطة، وفي المساء، وصلت قواتنا إلى مسافة ٤٠٠-٥٠٠ متر من حامية بئر الماشي وسمعنا صوت انفجار الغام أمام جنودنا فظننا في بادىء الأمر أنها أصوات مدافع تركية. وكانت مدفعية الأتراك تشاغلنا، غير أن رمي مدفعيتنا كان أدقّ، وكان المقرر انهاء المعركة في اليوم التالي.

ولم ننجح في تحقيق ما كنا نتوقعه وذلك بالنظر إلى وصول نجدة قوية للأتراك في اليوم التالي. وقد فوجئنا بانصباب نار

مدفعية تركية قوية على مدفعيتنا. وكان من تأثير النيران المنصبة من الجبهة والجناح الشمالي أن بدأت العشائر تشعر بضعفها فلم تجرؤ على التقدم. وأذكر أن المرحوم داود صبري كان آمراً للبطّاريّة المصرية وكانت أحسن من البطّاريّة الجبلية الموجودة لدينا ولم يكن مداها المؤثر يزيد عن ٢٠٠٠ متر، ولما بدأت المدفعية التركية تصيب مدفعيتنا رأيتُ داود صبري يأمر بقطع النار ويخرج منديله ويضعه على وجهه وينام. فظننتُ في باديء الأمر انه يريد أن يثبت للجنود برودة دمه، ولكن لم ألبث أن تبينتُ أنه نام من التعب والإعياء.

وبقينا إلى الظهر ننتظر هجوم العشائر، غير انه لم يتقدم منها أحد، نظراً لتضعضع معنوياتها. وجاءني آمر بطّاريّة الصحراء إبراهيم الراوي يخبرني بأنه لم يبق لديه إلاّ ٣٠ طلقة أما البطّاريّة المصرية فكان عتادها كافياً، بينما البطّاريّة الجبلية الثانية لم يبق لديها إلاّ القليل من العتاد. وكان أمامنا ما لا يقلّ عن ٦ بطّاريّات تركية، ثلاث منها صحراوية. ونظراً لتعذر إجبار العشائر على الهجوم، كما ظهر، قرّر سموّ الأمير علي الإنسحاب إلى المضيق للمداولة، حيث تذاكر مع رؤساء العشائر وقرروا الإنسحاب إلى بئر درويش انتظاراً للحصول على مدافع إضافيّة وعتاد كاف نظراً لما شاهده من تأثير نار المدفعية على معنويات العشائر.

ولم نتمكن من أخذ أكثر من بضعة أسرى وجرح منّا عدد يسير جداً. (لاحظ المخطط)

وبعد معركة آبار الماشي انتقل سموّ الأمير عبدالله من

الحناكية الى وادي العيص، وطلب ان نرسل اليه ضبّاطاً، فارسلتُ السيد حلمي وضابطاً آخر معه.

القيسوني وكيلاً للحربية

ثم حصل توقف في الحركات، وجاءنا خبر من مكّة مفاده أنَّ ضابطاً مصرياً برتبة يوزباشي تسلم وكالة الحربية في مكّة بدلاً من عزيز علي المصري. فأثار هذا التعيين تذمر واشمئزاز جميع الضبّاط العرب مما دفعني الى توجيه رسالة شديدة اللهجة الى ذلك الضابط المسمى قيسوني، فما كان منه إلّا ان رفع رسالتي الى جلالة الملك حُسين فاستاء منها وأمر الأمير علي بأن يرسلني الى مكّة للمثول بين يديه، وقد تردد سموّ الأمير في تنفيذ أمر والده إلّا انني أصررتُ على الذهاب الى مكّة لحلّ هذه المشكلة بالنظر لما أحدثته من أثر سيء في نفوس كافة الضبّاط العرب المتطوعين.

مقابلة جلالة الملك

ولمّا وصلتُ الى مكّة قابلتُ جلالة الملك فوجدته متأثراً أكثر ممّا كنّا نتصوره، لأنه اعتبر رسالتي الموجهة الى القيسوني تحدياً لأوامر جلالته. وقد حاولتُ أن أبسط لجلالته ما أحدثه هذا التعيين من نفور وألم في نفوس الضبّاط المتطوعين من العرب، ذلك لأنهم لم يلبّوا دعوة جلالته ليكون على رأسهم ضابط بعيد عن الشعور العربي، فضلاً عن انه أقل منهم قِدَماً وخبرة في الشؤون العسكرية.

وقد اكتفى جلالته بأن نقلني من محلي وألحقني بسموّ الأمير عبدالله. وإني لا أنسى عطف أصحاب السموّ الأمراء، علي وعبدالله وفيصل، الذين كتبوا الى جلالة والدهم بضرورة رعايتي لأني لم أكن إلاّ ممثلاً لرأي كافة الضبّاط العرب الذين تأثروا تأثيراً عظيماً من إبعاد عزيز علي المصري وتعيين القيسوني بدلاً منه.

وصدوعاً بأمر جلالة الملك سافرتُ الى ينبع للالتحاق بسموّ الأمير عبدالله في وادي العيص. ولمّا وصلتها، تشرفتُ بمقابلة سموّه وتداولت معه في ضرورة تكوين جيش نظامي له يتألف من بطّاريتين او ثلاث ولواء من المشاة وسرية من الهندسة وكتيبة من الهجّانة.

زحف الأمير فيصل

وفي أثناء ذلك، كان الأمير فيصل قد دخل أملج، ومنها توجّه الى الوجه، بعد أن أسر الحامية الموجودة في أملج، وذلك في أوائل ١٩١٧. وفي هذا التاريخ التحق بسموّه جعفر العسكري قادماً من مصر مع بعض المتطوعين من العراقيين والسوريين ومعهم نوري الكويري من طرابلس الغرب، فانضموا الى قوات سموّه في الوجه.

وكان سموّ الأمير عبدالله يرسل السرايا من العشائر ومعهم كميات من الديناميت لنسف السكة الحديدية بجهة بواط، شمالي المدينة.

سقوط بغداد

وقد بلغنا خبر سقوط بغداد بيد القوات البريطانية فطلبنا أن يكون العراق ضمن إدارة الملك حُسين وأن تذهب بعثة من ضبّاط العرب المتطوعين الى بغداد للدعاية للتطوع في الجيش العربي وإفهام الناس كنه القضية العربية وحقوق العرب. وبعد مراسلات طويلة وافق الإنكليز على ذلك، إلاّ انه لسوء الحظ لم تكن هذه البعثة من ضباط أكفاء فلم يوفقوا في مهمتهم كما كان متوقعاً. والسبب في إرسال هؤلاء الضبّاط هو أن الضبّاط الأكفاء كانوا مشغولين في جبهات القتال.

الإستشفاء في مصر

وبينما كنّا منهمكين في تنظيم جيش الأمير عبدالله، حسب المقترحات التي أبديتها والإتصال بمكّة لجلب قسم نظامي من جيش سموّ الأمير علي، اعتراني المرض فأقعدني عن العمل ثم اضطرني الى السفر الى مصر للإستشفاء.

سقوط العقبة

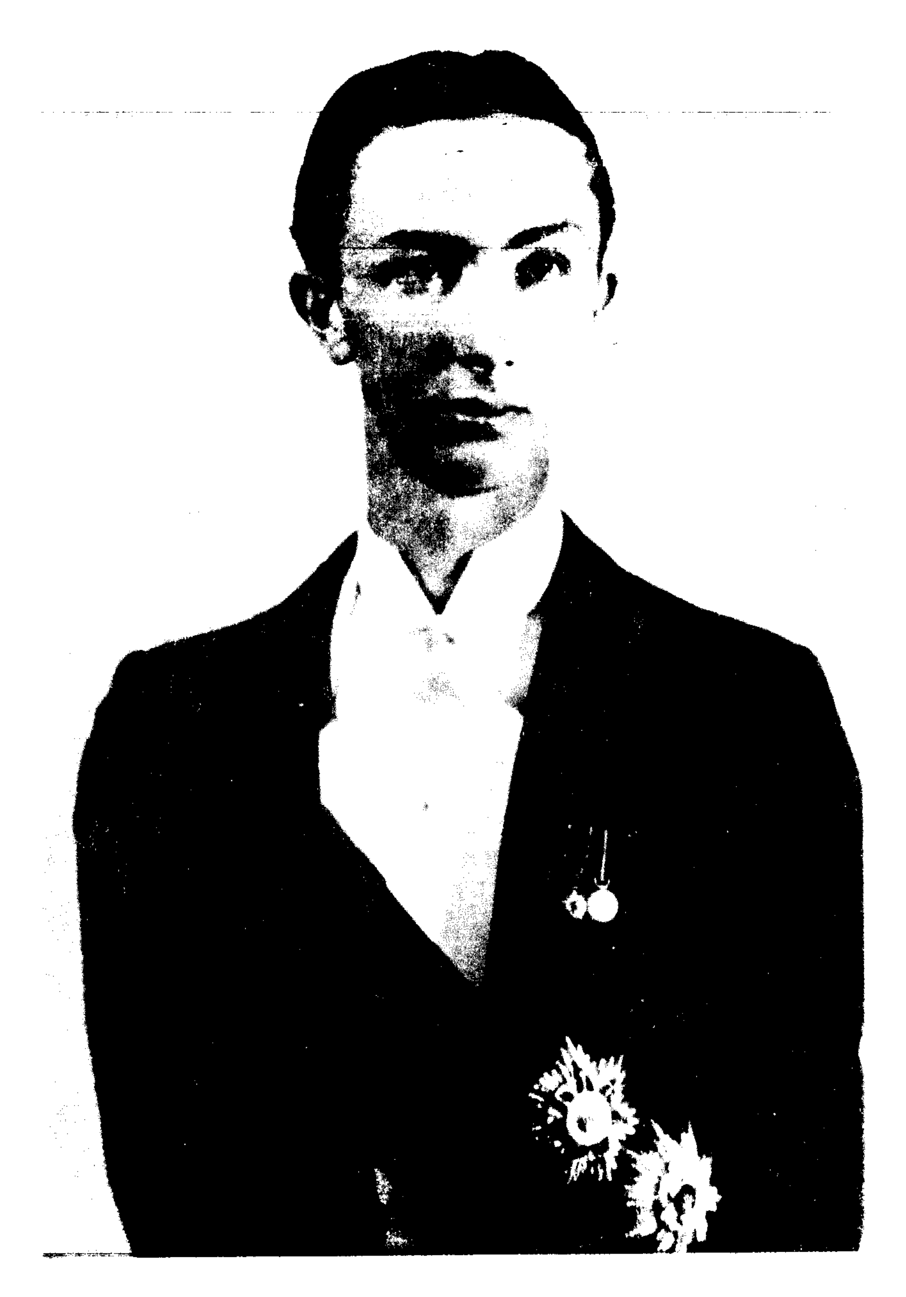
وفي خلال مدّة مرضي بلغني خبر سقوط العقبة بيد العشائر التي كانت تعمل تحت أمرة سموّ الأمير فيصل والتي كان رئسها الشيخ عودة أبو تايه فانتقل مقر الأمير فيصل اليها.

ان تقدم الأمير فيصل من الوجه الى العقبة، كان يستند على قيام العشائر بهجمات على الحاميات التركية وإرسال السرايا لنسف السكة الحديدية في جهة تبوك والعظم، على اني أجهل

تفاصيل هـذه الحوادث التي كـانت مفيدة جـداً من الناحيـة العسكريّة لعرقلة تموين القوات التركية في المدينة من ناحية، وتقوية معنويات العرب من ناحية أخرى.

وقد بلغني عن سقوط العقبة، أنَّ الشيخ عودة أبو تايه تحرك من الوجه مع عشيرته التوايهة ومعه سرية من الهجّانـة وبرفقتهم لورنس، فتوجهوا نحو الشمال، ولما اقتربوا من العقبة علموا بأنّ حاميتها ضعيفة لأنها كانت مؤلفة من فوج تركي ضعيف فباغتوها واحتلوها.

ولما وصل هذا الخبر الى القائد التركي في معان، أرسل لواء من ثلاثة أفواج لاسترداد العقبة وكان على رأسه الزعيم نظيف بك الذي اشتهر بتدريب المشاة في الكلية العسكرية في استـانبول فكمنت القـوات العربيـة في أطراف مضيق النقب بالقرب من ابي اللسن، وعند مرور القوات التركية متوجهة نحو العقبة هاجمتها عشيرة التوايهة وأبادتها وأسرت قائدها وما يزيد على ألف وستمائة أسير جرى سوقهم الى العقبة، وضمهم الى زملائهم الأسرى، بانتظار نقلهم الى المعتقلات.



الأمير عبد الاله



الملك فيصل الأول



نوري السعيد

المحاضرة الثانية

ألقِيَتْ في دار الضبّاط يوم ٦ مايس ١٩٤٧

القسم الثاني: من سقوط العقبة حتى اغسطس ١٩١٨

الإجتماع بالضبّاط العرب في مصر

حدثتكم في المحاضرة السابقة عن حادث مرضي واضطراري الى السفر الى مصر للاستشفاء، ولمّا تماثلتُ للشفاء وعزمت على العودة الى الحجاز، علمتُ بوجود بعض الضبّاط العرب، من عراقيين وسوريين، قيد مراقبة الجيش البريطاني في ثكنة قصر النيل. وقد وصلتني بطاقة من تحسين علي، وكان من ضمنهم، يخبرني فيها بوجودهم في الثكنة المذكورة ويطلب مقابلتي بأسرع ما يمكن.

فاستأذنتُ القيادة البريطانية وقمتُ من فوري بزيارتهم في الثكنة فوجدتُ فيها تحسين علي وعلاء الدين جواد ويوسف عز الدين ورشيد أحمد (من مندلي) وعبد الرحمن شرف وحسن

غصبية. وقد علمت منهم بأن سبب وجودهم في الثكنة هو أنهم أرادوا الإلتحاق فوراً بالجيش العربي في الحجاز ممّا أدّى الى سوءِ تفاهم بينهم وبين الضابط البريطاني المسؤول عنهم. ثم علمتُ بأنَّ عدداً كبيراً من الضبّاط العراقيين والسوريين المتطوعين وصلوا الى السويس وان في نيّة القيادة البريطانية تجهيزهم وتدريبهم على استعمال الأسلحة الإنكليزية ومن ثم نقلهم الى أحد الموانىء الحجازية لينضموا الى المتطوعين في الجيش العربي.

وقد راجعتُ القيادة البريطانية واستطعتُ أن أخرج إخواني الضبّاط من ثكنة قصر النيل، وبسطتُ لهم حالة الجيش العربي في الحجاز، في الميادين المختلفة، بقيادة أصحاب السموّ أنجال الملك حُسين. ثم ساعدتهم على تجهيز أنفسهم بما يحتاجون إليه في سفرهم للإلتحاق بإخوانهم المتطوعين في الحجاز.

في معسكر الإسماعيلية

ثم قصدتُ معسكر الإسماعيلية وقابلتُ الضبّاط والجنود العرب فيه، فوجدتهم على أحسن ما يكون من حالة نفسية واستعداد للقيام بواجبهم لخدمة بلادهم.

وأذكرُ من بين الضبّاط الذين قابلتهم في الإسماعيلية من العراقيين، قاسم راجي وعبد الوهاب الشيخ محمود والسيد طاهر السيِّد يوسف ورشيد علي وناجي شوكت وأخيه رفعت شوكت وحمدي صدر الدين وابراهيم كمال وبهاء الدين نوري وعبد المجيد الهاشمي واسماعيل نامق وعبد المجيد الشيخلي وعبد الغفور البدري وأحمد رمزي وحسن علي وجمال بابان وأحمد

الباجه جي (ابن عمتي، كما كان يُسمى) وبهجت الكروي وإمام الجيش صلاح الدين الضراع، ومن الضباط السوريين، حسن وفقي وحسن خلقي وغيرهما. وكان عددهم جميعاً يزيد على ألف متطوع.

المتطوعون اليهود

وقد لفت نظري وجود مائة متطوع من اليهود العراقيين وعلى رأسهم ضابطان يهوديان جاؤوا من معتقلات الأسرى للعمل تحت راية الملك حُسين. وقد حاولت القيادة البريطانية والفرنسية فصل هؤلاء المتطوعين عن بقية إخوانهم واستخدامهم في جبهة فلسطين فلم تفلح إذ أصرّوا على الخدمة تحت الراية العربية في الحجاز.

عودتي الى الحجاز وبقائي في العقبة

بعد أن انتهيتُ من زيارة المتطوعين العرب السالف ذكرهم غادرتُ مصر متوجهاً الى الحجاز، فرَسَتْ بنا الباخرة في العقبة. وبقيتُ فيها يومين لتفريغ حمولتها من المؤن والذخائر الحربية التي جاءت بها لجيش سموّ الأمير فيصل، وقد التقيتُ في العقبة بالمرحوم جعفر العسكري فوجدتُ لديه ولدى سموّ الأمير فيصل رغبة شديدة في بقائي معهما في العقبة، إلا اني كنت متردداً في ذلك خشية أن ينصرف الذهن الى اني لا أميل الى الإستمرار في العمل مع سموّ الأمير عبدالله. وقد شاءت الأقدار ان يتفشى وباء الهيضة في العقبة وتقطع المواصلات بينها وبين

بقية الموانىء فاضطررتُ الى البقاء فيها ثلاثة أسابيع ساعدتُ في خلالها على تنظيم جيش الأمير فيصل.

ولّما أردتُ السفر، بعد أن تيسرت المواصلات، أصرَّ سموّ الأمير فيصل على بقائي معه فالتمستُ من سموّه أن يستأذن في ذلك أوّلاً جلالة الملك حُسين وثانياً سموّ الأمير عبدالله، فوردت موافقة جلالة الملك، أمّا سموّ الأمير عبدالله فقد بقي غير راض عن ذلك وقد عاتبني عن ذلك مراراً ولا يزال يجدد العتاب كلما تذكر هذا الحادث. اما بالنسبة إليَّ فإنني لم أكن أرى فرقاً في العمل تحت راية أيّ من أصحاب السموّ الأمراء، ما زلت قد اوقفت نفسي للخدمة، وقد خدمتُ فعلاً تحت أمرة أصحاب السموّ الأمراء، علي وعبدالله وفيصل وزيد، دون أن أشعر بأيّ فرق أو تمييز.

جيش الأمير فيصل

كان جيش الأمير فيصل موزعاً كما يلي:

فوج واحد وعدد من المتطوعين ومدفعان جبليان بقيادة مولود مخلص في وادي موسى. نحواً من خمسمائة متطوع بقيادة الشريف علي بن هزاع في عين دلاغة، قرب معـان. عشيرة التوايهة، وهي فرع عشيرة الحويطات بأطراف معان، وكانت تشنّ غاراتها من وقت لآخر على السكة الحديدية وعلى بعض النقاط الضعيفة للحاميات التركية المرابطة على طول خط السكة الحديدية قوّة من الهجّانة تتراوح بين ١٥٠ و٢٠٠ مع مرزوك الدخيمي ولورنس، وهي تتجول في المنطقة الواقعة بين معان

وجبل الدروز، وتتولى وضع الألغام على السكة الحديدية ونسف القطارات في محلات مختلفة، وتقوم أيضاً بخطف الأشخاص لتحصل منهم على معلومات عن حركات الجيش التركي وأحواله، أمّا العقبة نفسها، فقد كانت فيها بطّاريّة جبلية فرنسية وهي التي كانت في رابغ ونحو ست طائرات إنكليزية تتعاون مع العرب في الإستطلاع وأحياناً في قصف بعض الحاميات التركية، وكانت فيها أيضاً أربع سيّارات مدرّعة وعدد من وسائط النقل الآلية بأمرة ضابط بريطاني يُسمى الكولونيل جويس، وكان تحت أمرته أيضاً ما يزيد على ألفين من المتطوعين في الجيش النظامي وأكثرهم من أهل الحجاز والعراق وسوريا وفلسطين، وبطّاريّتان من المدافع الجبلية عيار ٢,٧٥ عقدة ونحو اثنتي عشرة رشاشة فيكرس وبطّاريّة صحراء عيار ١٨ رطلاً وبطّاريّة قوس عيار ٤,٥٠ عقدة، هذه عدا القوّة العشائرية التي كان عددها يتراوح بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ بندقية.

تنظيم جيش الأمير فيصل

ذلك كان وضع جيش الأمير فيصل عند وصولي الى العقبة، وقد تداولنا في شأن تنظيم هذا الجيش وتنسيقه مع المتطوعين العرب القادمين من مصر والذين سيصلون بعدهم وتنظيم المواصلات ووحدات النقل خلف الخطوط عند الزحف الى الشمال. فاستقر الرأي على أن نبدأ بتنظيم فرقة من لوائين من المشاة يضاف اليها المدفعية المار ذكرها وكتيبة من الهجانة وكتيبة من الخيّالة، فلما انتهينا من تنظيمها سُميت بالفرقة الأولى ووضعت تحت قيادة قاسم راجي. ثم وضعنا ملاكات لهذا

الجيش تكفل نموه بحيث ان المتطوعين الذين سيلتحقون بنا سيجدون محلاً لهم في هذا الجيش فور التحاقهم.

وقد الححنا كثيراً على القيادة البريطانية لتمدنا بما نحتاج اليه من المدافع والرشاشات لنجعل الفرقة الأولى صالحة للخدمة على الوجه المطلوب.

أمّا صعوبات النقل فقد كانت عظيمة وستظهر لكم هذه المشكلة على صورة جلية عند إسهابنا في الحديث عن المعارك حيث كنا نضطر الى وقف القتال أحياناً لعدم وصول المؤن والعتاد في الوقت المناسب.

وضع الجيش البريطاني

كانت قوات المارشال اللنبي تقاتل على خط يبدأ من اطراف غمرة وبير السبع والخليل وينتهي في وادي الشريعة في شرق الأردن، وكان الاتصال بين هذا الجيش وبين الجيش العربي عن طريق وادي العربة.

ازدياد المتطوعين

أخذ عدد المتطوعين العرب من الضبّاط وضبّاط الصف والجنود في الإزدياد وذلك إما بنتيجة وقوعهم أسرى بيد القوات البريطانية واما بهروبهم والتحاقهم بنا عن طريق جبل الدروز، كما فعل ثابت عبد النور، واما بوقوعهم أسرى بيد الجيش العربي حيث يظهرون رغبتهم في التطوع كما فعل ناجي الأصيل وآخرون من السوريين.

لقد استغرق تنظيم هذه القوات وقتاً غير قليل ممّا أدى الى تذمر فريق ممن ليست لهم خبرة كافية في تنظيم الجيوش وتموينها.

هجوم تركي مفاجىء

وقد فوجئنا في أواخر صيف ١٩١٧ بهجوم قوّة تركية مؤلفة من لواء مختلط ومعه بعض المدفعية، خرجت من معان وهاجمت حامية وادي موسى التي كانت تحت قيادة مولود مخلص، فقاومت هذه الحامية حتى الغروب وكبدت المهاجمين خسائر فادحة إلّا انها اضطرت بنتيجة ضغط المهاجمين على التراجع الى جهات بترا، وهو موقع آثار رومانية قديمة في الوادي الذي ينتهي بوادي عربة، وألقت المدفعين الجبليين اللذين كانا معها من قمة الجبل الى الوادي لتحطيمهما خشية وقوعهما بيد الأتراك.

اللياثنة تبيد القوة المهاجمة

لم يمض على انسحاب حامية وادي موسى في الظلام أكثر من ساعتين حتى لحق بها بعض الخيّالة من العرب من عشيرة اللياثنة، وأخبروا مولود مخلص بأن عشيرتهم بالإشتراك مع أهالي وادي موسى قد أجهزوا على القوات التركية وأبادوها. فما كان من مولود مخلص إلّا أن رجع بقواته الى المواقع التي سبق له أن أخلاها في المساء.

وبعد يومين جاءنا مولود مخلص ومعه بعض المشايخ الذين

قـاتلوا في هذه المعـركة ومعهم الغنـائم من بنادق وتجهيـزات ورشاشات مما استولوا عليه في هذه المعركة وبعض الأسرى.

هجوم مقابل

لقد عزمنا على القيام بهجوم مفاجىء كالذي قامت به القوات التركية في وادي موسى. واخترنا محطة جرف الدراويش هدفاً لهجومنا. وقد اخترنا هذه المحطة لأنه كان فيها جسر كبير للسكة الحديدية وكانت حاميتها لا تتجاوز الفوجين مع مدفعية ضئيلة. وكان التغلب عليها وتخريب الجسر المهم مما يتناسب مع ما نستطيع عمله في تلك الظروف، ريثما تستكمل قوات الجيش الأصلية استعداداتها للزحف الى الأمام. وعلى ذلك هيأنا حملة صغيرة مكوّنة من فوج المشاة ومدفعين جبليين وثمانية رشاشات وقوّة من العشائر تقدر بـ ألف وخمسمائة مقاتل اكثـرهم من عشيرة بني صخر. وقد تركت وظيفتي كرئيس لأركان الجيش الشمالي وتوليت قيادة هذه القوة بنفسي على صورة مؤقتة مع الشريف ناصر. فزحفنا وقطعنا السكة الحديدية من شمال معان وبتنا ليلتين في العراء، وقبيل الفجر، من اليوم الثـالث من زحفنا، باغتنا المحطة بهجوم مفاجىء، فلم تدم المعركة أكثر من ساعتين انتهت باستسلام الحامية التركية. وقد ظهر لنا ان عدد أفراد الحامية لم يكن يتجاوز ألف جندي بينهم ثـلاثـون ضابطاً وآمر برتبة عقيد ومدفعين جبليين وبضع رشاشات. ووجدنا في المحطة قطاراً يحتوي على أكثر من خمسين مقطورة محملة بالمؤن والذخائر والعتاد في طريقها الى حامية المدينة. نسفنـا الجسر

بحيث لا يتيسر إصلاحه بأقلّ من بضعة أسابيع. وقد وجدنا بين المؤ ن كميات لا يستهان بها من اللحم المقدد (الباسطرمة) فظن البدو انها لحم خنزير فلم يمسوه فانتفع به ضباط هذه الحملة في ذلك الموسم الشتائي.

الزحف على الطفيلة

وبعد أن انهت هذه القوّة مهمتها في محطة جرف الدراويش، زحفنا على الطفيلة ودخلناها. ثم عدتُ الى مركز عملي الأصلي في العقبة بعد ان تركت القيادة لراسم سردست والشريف ناصر، وكان معي الأسرى الأتراك والجنود الذين يتولون حراستهم.

وكانت هذه الحركة برهاناً مسكتاً للمتذمرين والمنتقدين لأنهم لمسوا فائدة التنظيم وضمان نجاحه.

تشكيل الفرقة الثانية

وعند وصولي العقبة وجدتُ أن عدد المتطوعين المتزايد أصبح مبرراً لتشكيل الفرقة الثانية على النمط الذي اتبعناه في تنظيم الفرقة الأولى المار ذكرها.

وبينما كنا منهمكين في تنظيم الفرقة الثانية، بلغنا أنَّ فرقة تركية قادمة حديثاً من الجبهة الرومانية بقيادة حامد فخري، خرجت من محطة جرف الدراويش وفاجأت حاميتنا في الطفيلة، فالتحمت معها في معركة استمرت طيلة النهار، وفي المساء هاجمت العشائر هذه الفرقة من الخلف، فقتل قائدها وأبيد أكثر

أفرادها، واستولي على سلاحها وذخائرها، وكان من بين ضباط هذه الفرقة العقيد توفيق برتو وهو آمر لأحد الألوية، فجرح في صدره إلّا أنه هرب ولم يقع في الأسر، وهو لا يزال يذكر ما كانت عليه القوات العربية في تلك المعركة من الشجاعة والإستبسال.

إن هذه الحادثة حملتنا على التعجيل في الزحف. ففي خلال أسبوعين تم تنظيم الفرقة الثانية بعد أن أجرينا بعض التبديلات في الوحدات بحيث اصبحت كفاية الفرقتين للقتال متعادلة وعُيِّنَ حسن وفقي آمراً لهذه الفرقة.

الزحف على أبي اللسن

وفي تشرين الثاني قررنا الزحف بمجموع قواتنا الى الكويرة، ثم الى أبي اللسن وتركنا سرية المتطوعين من اليهود العراقيين لحراسة المدخرات في العقبة على أن يكون الزعيم عبد الوهاب الشيخ محمود قائداً لموقع العقبة وآمراً للتموين ووضعنا تحت أمرته عدداً من الضباط والكتبة.

أما تموين العشائر فقد بقي أمره مودعاً الى وكيل سموّ الأمير فيصل في العقبة الشيخ يوسف خشيرم.

وضع الجيوش المختلفة في شتّى الميادين في كانون الأوّل ١٩١٧

وقبل أن أحدثكم عن المعارك الأخرى، أرى من المفيد، أن أصوّر لكم وضع الجيوش المختلفة وأقصد بها التركي

والبريطاني والعربي في شتّى الميادين في أواخر شتاء سنة ١٩١٧ لتكون لديكم فكرة واضحة عن قوى هذه الجيوش والمراكز التي كانت تحتلها.

الجيش التركي

كان لهذا الجيش في المدينة فرقتان بقيادة فخري باشا، بوضع يشبه الحصار، وكان لديه لواء من المشاة لحماية المحطات بين المدينة ومعان وهو موزع بشكل يتناسب مع أهمية كل محطة. ففي بعضها فوج وفي البعض الآخر سرية أو فصيل. أما في معان فقد كانت توجد فرقة من المشاة. وفي المحطات في شمال معان الى عمان كان عدد القوات حوالى لوائين من المشاة موزع حسب أهمية المحطات.

وفي فلسطين كان الجيشان السابع والثامن على خط غزّة متجهاً نحو الشمال الشرقي وينتهي بوادي الشريعة وخطوط مواصلاته الى الشمال.

وكان الجيش الرابع في وادي الشريعة وخطوط مواصلاته الى الشرق باتجاه السلط وعمان.

الجيش البريطاني

أما الجيش البريطاني فقد كان بقيادة اللورد اللنبي، وكان لا يزال في المواقع التي سبق أن ذكرتها لكم. أما القوات التي يتألف منها، فبإمكانكم الرجوع بشأنها الى كتب تاريخ الحرب، إذ لا محل لتفصيلها هنا لعدم علاقتها بالموضوع.

الجيش العربي

كانت القوات النظامية التي تركتها في أطراف بئر درويش لا تزال ترابط في مواقعها مع العشائر المحلية وبعض عشائر من الطائف من بني سعد، وكانت هذه القوّة تسمى الجيش الجنوبي بقيادة سموّ الأمير علي.

وفي وادي العيص كانت قوات سموّ الأمير عبدالله وأغلبها من البدو ومن عشيرة جهينة وبلى، مع بعض الضبّاط وضبّاط الصف لغرض وضع الألغام في محطات السكة الحديدية الغربية من وادي العيص. .وكانت هذه القوّة تُسمى الجيش الشرقي بقيادة سمّو الأمير عبدالله.

وفرقتان نظاميتان بقيادة جعفر العسكري مع قوّة بدوية تتألف من عشائر الحويطات وعشيرة التوايهة وبني صخر وبني عطيّة وقسم من عشائر الرولة برئاسة شيخها نوري الشعلان وبعض المتطوعين من أهالي حوران، فكانت كل عشيرة برئاسة شيخها وكانت هذه القوّة تُسمى الجيش الشمالي بقيادة سموّ الأمير فيصل.

إنَّ مجموع القوات النظامية في هذا الجيش، حسبما أتذكر، كان حوالى عشرة آلاف جندي من مختلف الصنوف.

فيستنتج من هذا العرض للجيوش أنَّ القوات العربية كانت تقاتل من المدينة إلى جبهة القتال في فلسطين وأمامها أربع فرق تركية.

وكنا حتى أوائل سنة ١٩١٨ نرسل الضبّاط على رأس

سرايا من البدو للإغارة على الحاميات التركية الضعيفة في محطات السكة الحديدية في شمال معان وجنوبها كمحطة الإحساء وفريفرة والقطرانة وفي الجنوب إلى تل الشحم والرملة. وفي الغارات الشمالية كان لورنس مع الهجّانة من البدو وبعض المتطوعين السوريين أذكر منهم فائز العظم وأولاد عمه من بيت العظم أكثر فعالية من غيرهم.

احتلال غدير الحج والجردوته

في أوائل سنة ١٩١٨ تقدمت بعض القوات البريطانية من وادي الشريعة متجهة نحو عمان، فدخلت طلائعها هذه المدينة إلّا أنَّ القوات التركية كرّت عليها واضطرتها الى التقهقر بعد أن كبدتها خسائر لا يستهان بها من قتلى وجرحى وأسرى. فطلبت الينا القيادة البريطانية التضييق على القوات التركية لتخفيف الضغط عن قواتها في وادي الشريعة.

وبعد مداولات استغرقت بضعة أيام قررنا مهاجمة حامية معان، على أن يسبق هذا الهجوم قطع السكة الحديدية في شمال معان وجنوبها، فخصصنا فوجين وبطّاريّة من المدافع الجبلية لمهاجمة محطة غدير الحج في الجنوب على أن نستعين بقوّة من البدو المتطوعين يبلغ عددها ألف مقاتل. كما خصصنا لواء من المشاة وقوة من البدو تتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف مقاتل وبطّاريّة المدافع الجبلية لمهاجمة محطة الجردوته.

وقد نفذت هذه الخطة وبعد قتال بسيط استسلمت

حاميتا المحطتين المذكورتين للقوات العربية. وبلغ عدد الأسرى نحو سبعمائة جندي مع بعض الرشاشات.

الهجوم على سمنة

ثم وجّهنا الفرقة الأولى لمهاجمة موقع سمنة على أن تكون الفرقة الثانية مستعدة في جهة جنوب غربي سمنة لمهاجمة خطوط الدفاع في أطراف محطة معان في اليوم نفسه. وأعددنا كذلك قوّة من البدو تقدر بثلاثة آلاف مقاتل لمهاجمة معان ومحطتها من جهة الشرق. والتحق بنا في تلك الأثناء جميل المدفعي وعُيِّنَ قائداً لسلاح المدفعية في الجيش العربي النظامي.

وقد جلبنا القوة النظامية في الطفيلة واستقدمنا القائد راسم سردست وعيّناه آمراً لقسم المدفعية التي تساعد الفرقة الثانية، وتركنا في الطفيلة، القوات المتطوعة غير النظامية. ثم استبدلنا قيادة الفرقتين فعيّنا مولود مخلص قائداً للفرقة الأولى، وعبد المجيد الشيخلي قائداً للفرقة الثانية، كما عيّنا علي جودت الأيوبي مديراً لشعبة الحركات في مقر القيادة.

زحف الفرقة الأولى على خط سمنة

وتنفيذاً للخطة، التي رسمناها، زحفت الفرقة الأولى وهاجمت خط سمنة. وكان في هذا الخط لواء من المشاة الأتراك فتقهقر باتجاه القصبة، فما كان من آمر الفرقة، مولود مخلص، إلّا أن حمل بنحو ثلاثين خيّالاً من البدو ومعهم ثابت عبد النور على القوات المتقهقرة. واتفق أنَّ أحد الجنود الأتراك عاد وأطلق

رصاصة من بندقيته أصابت مولود مخلص في فخذه فسقط عن حصانه جريحاً وكاد يقع في الأسر لولا أن بادر ثابت عبد النور الى حمله معه على حصانه ورجع به إلى المخيّم. وبقيت قيادة الفرقة الأولى شاغرة حتى عُيِّنَ خلف لمولود مخلص.

كان الإعتقاد سائداً بأنَّ سقوط خط سمنة يؤدي الى سقوط معان. وكنتُ أعتقدُ بخطأ هذا الرأي وأرى الميزة الوحيدة لهذا الخط هي أنَّ الذي يسيطر عليه يستطيع الإشراف على الفريق المقابل وترصّد حركاته وسكناته لا أكثر ولا أقلّ. وقد دارت مناقشات في هذا الصدد بحضور سموّ الأمير فيصل وظهر لنا فعلاً خطأ الرأي الأول فيما بعد.

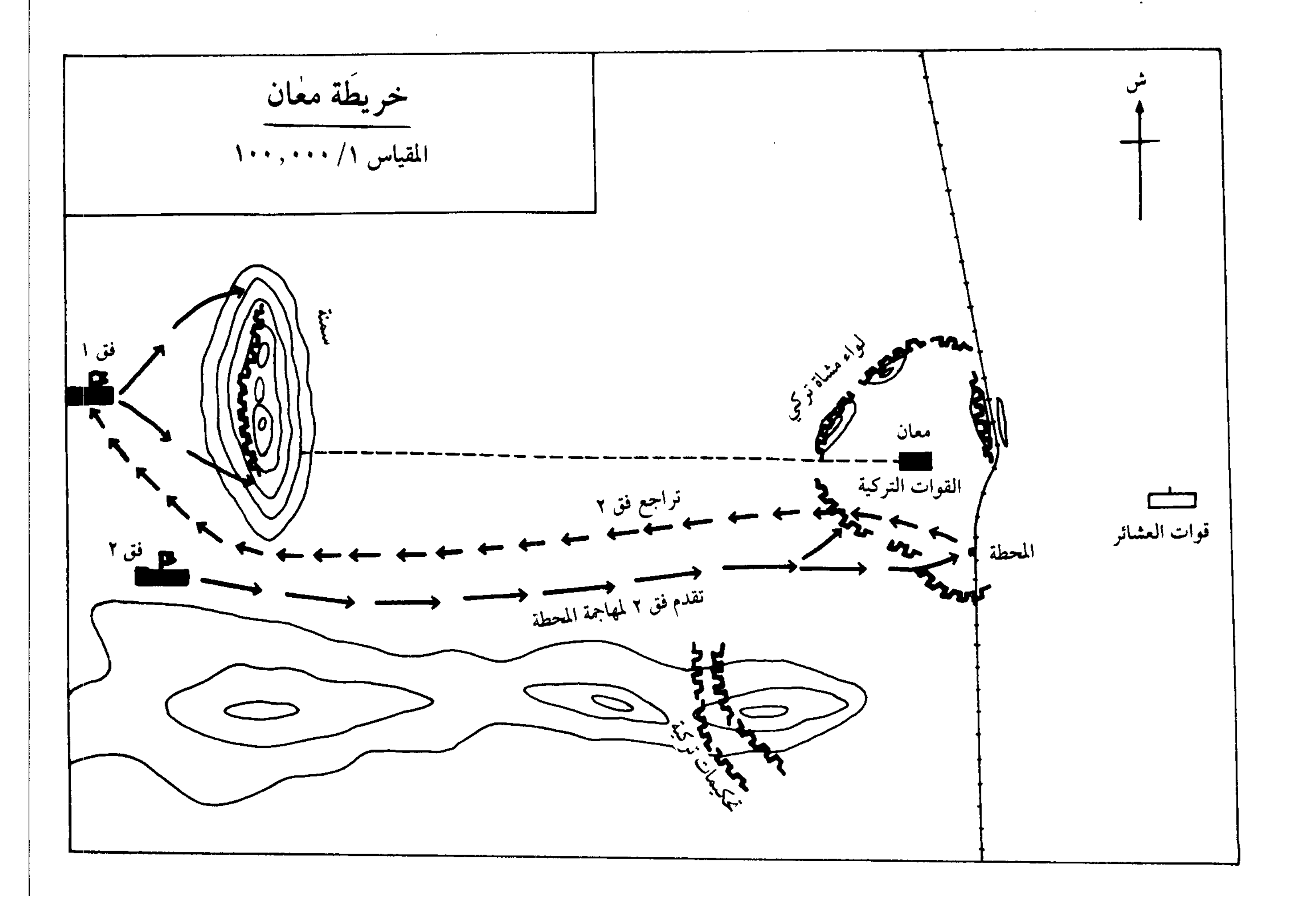
زحف الفرقة الثانية

أمّا الفرقة الثانية فقد زحفت على المحطة وكان معها، علاوة على مدفعية الجيش، بطّاريّة مدفعية جبلية فرنسية لحماية تقدم المشاة. وقد قاتلت هذه الفرقة ببسالة فائقة وأسقطت الخنادق في غربي المحطة فاحتل بعض قواتها المحطة وكنتُ أنا من بينهم فلفتَ نظري توقف المدفعية الفرنسية فجأة عن الرمي واشتداد مقاومة الأتراك ونارهم الحامية وخاصّة الرشاشات المنصوبة على التلّ الذي يبعد حوالى ثلاثمائة متر عن المحطة. فأرسلتُ مرافقي، يوسف عز الدين، ليستفسر عن سبب توقف المدفعية الفرنسية عن الرمي لأنه لم يبق للمشاة الذين وصلوا المحطة ما يحميهم. وقد أمرته كذلك أن يستوضح من سموّ الأمير فيصل عن سبب تأخر قوات العشائر في هجومها على

معان من الجهة الشرقية كما كان مقرراً. غير أنَّ مرافقي ذهب ولم يعد وعلمت فيما بعد بأنه جرح. وكانت مشاتنا تتكبد خسائر فادحة من نيـران القوات التـركية المخنـدقة في شمـال غربي المحطة، وكنتُ أقدّرُ القوّة التركية المقاومة للفرقـة الثانيـة في أطراف المحطة بما لا يقلُّ عن لواء من المشاة.

ثم جـاءني الى المحـطة لـورنس، فـأظهـرت لـه تـألمي وانزعاجي من توقف البطّاريّة الفرنسية وعدم مهاجمة العشائر وفقاً للخطة الموضوعة، فعاد ووصلتني منه قبيل العصر رسالة يبيِّن فيها أنَّ آمر البطّاريّة الفرنسية عاد الى معسكره لأنَّ عتاد مدافعه قد نفد ولم ير فائدة من بقائه في ميدان القتال. أما بشأن هجوم العشائر فقد ذكر لي أنه يجهل أسباب تخلفها عن الهجوم. فاستغربتُ جداً عمل آمر المدفعية الفرنسية لأني لم أزل أتذكر جيداً أن هذه البطّاريّة لم تقم بواجبها وانها لم تطلق أكثر من بضع قذائف لتقدير المدى والإتجاهات وهذا لم يكلفها أكثر من عشرين قذيفة. لذلك، وللخسائر الفادحة التي تكبدناها، قرّرنا سحب الفرقة الثانية الى ما وراء خط سمنة الذي ترابط فيه الفرقة الأولى لإعادة تنظيمها وتقويتها. فقد كانت نسبة الخسائر تزيد على ٣٠٪ من الجنود المشاة وضبّاط الصف، وعلى ٤٠٪ من الضبّـاط وذلك بـين قتيل وجـريح، وحبـذنـا أن يكـون الإنسحاب ليلاً لنتمكن من نقل الجرحى ودفن القتلى. وكان بين الجرحى عدا مولود مخلص، إبراهيم كمال وعبد الحميد الهاشمي وآخرين لا أذكرهم.

وقد علمتُ من بعض الأسرى الأتراك، بعد بضعة أيام،


خريطَة معان
المقياس ١/ ١٠٠,٠٠٠
ش
قوات العشائر
المحطة
القوات التركية
معان
لواء مشاة تركي
سمنة
تراجع فق ٢
تقدم فق ٢ لمهاجمة المحطة
تحكيمات تركية
فق ١
فق ٢

أن حالة القوات التركية في هذه المعركة كانت أسوأ من حالتنا وأنها كانت مصممة على الإستسلام لو بقينا في مواضعنا الى اليوم الثاني.

وبالرغم من الجهود التي بذلناها في نقل الجرحى ليلاً، علمنا أخيراً، ان بعضهم لم يزل في ساحة المعركة. لذلك فقد أبلغنا القيادة التركية بكتاب خاص ضرورة معاملة أسرانا وفق ميثاق الهلال الأحمر وإلاّ فإن كلّ معاملة سيئة يعاملون بها سنقابلها بالمثل في معاملة الأسرى الأتراك. وقد علمنا بعد ذلك أنّ تأثير هذا الكتاب كان حسناً حيث أعلمنا الأسرى العرب، عندما التقينا بهم في دمشق، بأن معاملة الأتراك لهم كانت حسنة.

والى شهر حزيران لم تجر معارك ذات شأن ما عدا غارات على المحطات الضعيفة في جنوب معان وشمالها. ومن بين هذه الغارات وأقواها الغارة التي وقعت في الشمال على محطة الجردوته. ففي الغارة الثانية قبيل الفجر قام بالهجوم لواءان من المشاة تحميهما مدفعية الجيش مع كتيبة من الخيّالة تسمى كتيبة الهاشمي بقيادة اسماعيل نامق. وكان واجب هذه الكتيبة ترصد الجناح الشمالي ومنع وصول النجدات الى القوات التركية من محطة عنيزة في الشمال. وفي خلال بضع ساعات، استسلمت حامية الجردوته، المؤلفة من فوج واحد وبعض الرشاشات. وقد سُميت هذه الغارة بواقعة الجردوته الثانية وقد هجمت كتيبة الهاشمي على بعض الفارين من الحامية التركية المتجهين الى

الشمال وأسرتهم. إلاَّ أنَّ إحد الهاربين أطلق رصاصة من بندقيته على إسماعيل نامق فسقط جريحاً.

وبعد أن أُجريت التخريبات في المحطة ونُقلت الغنائم والأسرى عاد اللواءان الى معسكرهما في الوهيدة.

والحقيقة ان القتال في هذه المعركة كان بين القوات التركية ولواء السيد طاهر السيِّد يوسف لوحده، لأنَّ اللواء الثاني الذي كان تحت قيادة رشيد علي وصل متأخراً عن الموعد المعين بنحو ساعة.

الغارة الثالثة على محطة الجردوته

إتصل بنا ورود نجدات قويّة للأتراك تُقدر بفرقة واحدة ومعها مدفعية قويّة من نوع مدافع القدرتلي، تلك المدافع التي لمسنا تأثيرها البالغ في المعارك التي خضناها فيما بعد، وهذا النوع من المدافع هو الذي قلده البريطانيون وعملوا على غراره مدافع القوس الجبلية عيار ٣,٧، فانضم قسم من هذه القوّة الى حامية معان وخندقَ القسم الآخر في محطة الجردوته وعلمنا ان قوات اخرى وصلت الى محطة عنيزة في شمال الجردوته. لذلك صممنا على القيام بغارة ثالثة بنفس القوّات السابقة مضافاً إليها لواء المشاة بقيادة تحسين علي وقوّة بدوية لتهاجم المحطة من الجهة الشرقية في نفس الوقت المقرر لهجوم اللوائين.

وكانت تحكيمات الأتراك بسيطة وهي تبعد عن المحطة، المحتوية على ثلاث مباني نحو ٢٥٠ أو ٣٠٠ متر. اما من الجهة

الشرقية، فكانت خنادقهم على شكل بيضـوي تقريبـاً، وتقع المحطة الى الغرب والمقصات والسكة الى الشرق. فلما أرسل الأتراك الفرقة الجديدة، وكان جنودها مدربين تدريباً جيـداً، تركوا بطّاريّة أو بطّاريّتين، الأولى اعتقد إنها من طراز قدرتلي، والثانية اظنها قديمة، وحفروا خنادق جديدة، فأصبح طول الخط تقريباً من أوّل القوس الى آخره نحو ٨٠٠ أو ٩٠٠ متر ثم غطوا سقوف الخنادق بالقضبان الحديدية وأسّسوا خطّين يبعد الأول عن القـديم نحو ٢٠٠ مـتر وربطوا الخـطّين بخنـادق مواصلات وحفروا أيضاً خنادق احتياطيـة وزرعوا حقـلاً من الألغام أمام مواضعهم. أمّا في الجبهة الشرقية فقد بقي الخط القديم على حاله. وكنت أعتقد بأنهم إذا اضطروا الى التراجع سيرجعون الى معان. وان مرميات المدافع من المحطة ومن معان قد تتلاقى في وسط الطريق. وبالنظر الى الإستحكامات، أضفنا لواء تحسين علي الى القوّة المهاجمة. وتُقرِّر أن يكون لواء رشيد علي في اليمين وأن تعبر سرية خيالة بهجة الكروي، خط السكة الى الشرق، لتكون مع العشائر وهي بالإتصال مع رشيد علي ويكون في الوسط لواء تحسين علي، وفي اليسار لواء سيّد طاهر السيِّد يوسف. وكانت كتيبة إسمـاعيل نـامق تترصّـد الجناح الأيسر.

وصدر الأمر بالزحف والوصول الى المحطة في وقت واحد وطُلِبَ من الألوية بعد تأسيس الإرتباط أن ترسل الدوريات لكشف خطوط الدفاع. وكان لواء رشيد علي يتقدم بجبهة فوج واحد وفوجين بالمقدمة الى الجناح الأيمن بالخلف. أما لواء تحسين

علي، فكان يتقدم بفوج واحد في الجبهة وفوجين إلى الوراء. أما لواء السيِّد طاهر فكان بفوج في الجبهة وفوجين بالمقـدّمة إلى اليسار. وقد علمنا ان لوائي تحسين علي والسيد طاهر قد اتصلا ولم نسمع شيئاً عن لواء رشيد علي.

إنّ الخطأ الذي ارتكبه رشيد علي في الغارة السابقة، وهو تأخره عن الموعد المعين للهجوم، تكرَّر مرّة أخرى وذلك انه بدأ تقدمه في هذه المرّة قبل الوقت المعيّن له بساعة بقصد تلافي خطأه الأول وكانت مفاجأة لنا أن نسمع دوي الرمانات اليدوية والألغام البرية وأزيز الرصاص وصراخ الإستبسال من منطقة هذا اللواء قبل أوانه، لذلـك أصبحت المعركـة بين القـوات التركية ولواء رشيد علي بمفرده.

أمّا لواء السيد طاهر فقد زحف إلى مواضعه المقررة. ولما انبلج الصبح وجدنا حالة لواء رشيد علي سيئة جداً وان رشيد علي قد قُتل وأصبح هذا اللواء عاجزاً عن البقاء في مواضعه التي لا تبعد أكثر من مائة متر عن خنادق حامية المحطة التركية حيث تضعضعت معنويات الجنود لما تكبدوه من خسائر وفقدان قائدهم وعدد غير قليل من الضبّاط.

فاندفع لواء السيد طاهر ولواء تحسين علي بكل ما لديهما من عزم وبسالة وتقدّما إلى مواضع لا تبعد أكثر من ثلاثمائة متر عن خنادق الحامية التركية. وهنا اكتشفنا أنَّ الحامية التركية كانت مؤلفة من أكثر من فوجين مع مدفعية قويّة وقد زرعت حقول ألغام برّية جيدة التنظيم وان استعداد الأتراك كان أكثر

من استعداداتهم السابقة. وكان رمي بنادقهم حسناً للغاية مما كبّد قوات اللوائين خسائر لا يُستهان بها واستشهد السيد طاهر.

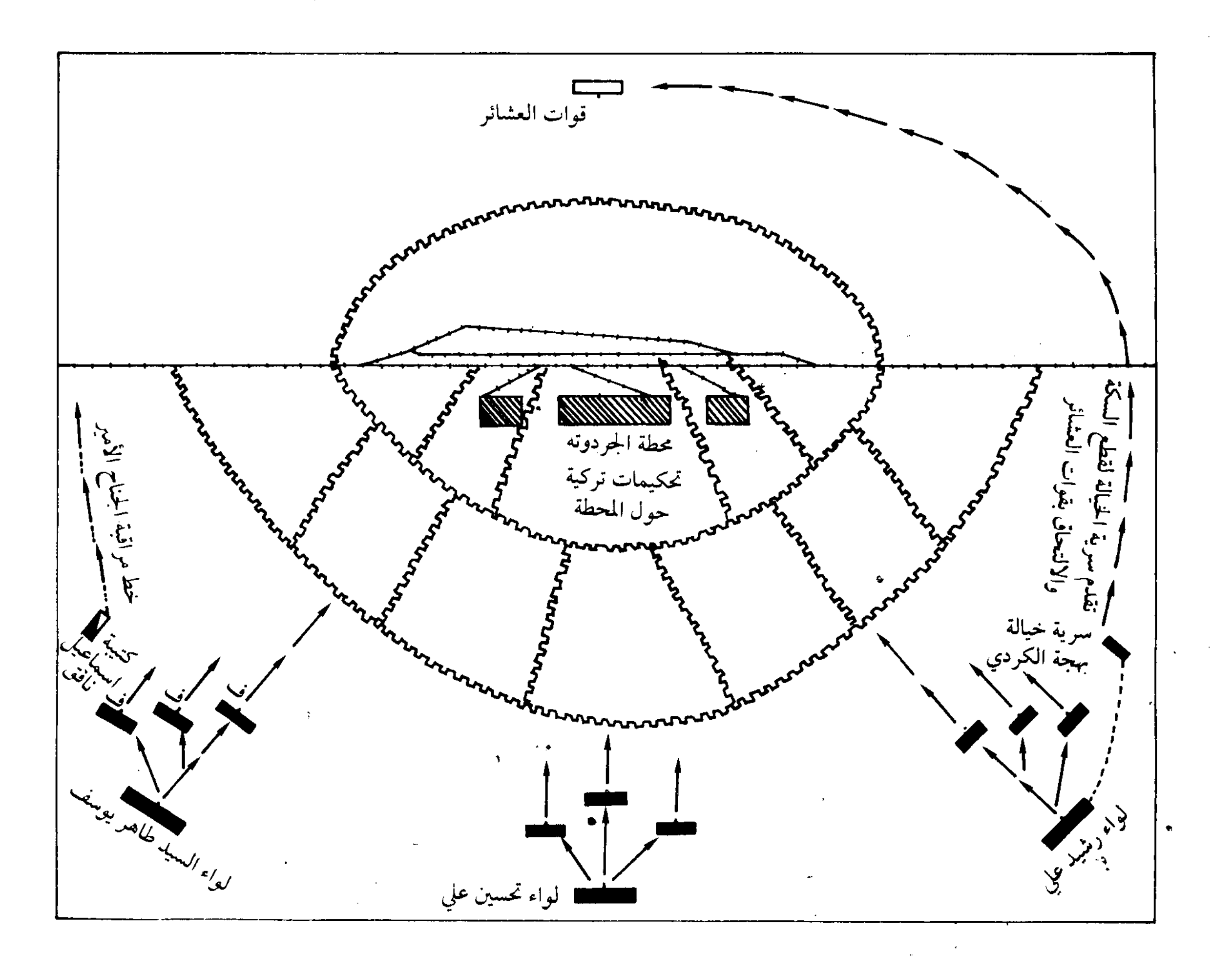
أما القوّة العشائرية التي تقرر قيامها بالهجوم مع اللوائين فإنها لم تحرك ساكناً. ولهذه الأسباب قررنا التراجع إلى معسكر الوهيدة وكانت الصعوبة في نقل الجرحى ودفن القتلى. فقررنا البقاء حتى الليل لتنفيذ خطة التراجع تحت جنح الظلام. ولم نلبث أن تلقينا أمراً من سموّ الأمير فيصل بالرجوع فوراً تجنباً لخسائر أخرى لا فائدة من ورائها.

وبينما كنت أحرّرُ أمر الرجوع وفتح نار المدفعية، لتكوين ستار من الدخان والغبار لستر الإنسحاب، إذ أُصيب مرافقي صبحي الخضرة، وهو من أهالي صفد بطلقة جرحته. وسمعت في الوقت نفسه دوي المدافع الذي كنت أريده وأتلهف لسماعه وذلك أنَّ جميل المدفعي قام به من تلقاء نفسه. وكان ارتفاع ستار الدخان والغبار لا يقلّ عن بضعة أمتار فلم يستطع الأتراك معرفة ما يدور وراء هذا الستار الكثيف وهل كنا نتقدم أم نتقهقر؟.

وفي خلال نصف ساعة استطعنا نقل الوحدات وجميع الجرحى إلى الوراء مسافة تزيد عن ألف وخمسمائة متر. وهكذا انتهت هذه المعركة بالفشل للأسباب السالفة الذكر.

أمّا خسائرنا فقد كانت تزيد على نصف قوات لواء رشيد علي وربع قوات لواء السيِّد طاهر.

وكانت نسبة الخسائر في الضباط عالية جداً إذ قُدرت


قوات العشائر
محطة الجردونة
تحكيمات تركية
حول المحطة
تقدم سرية الخيالة لقطع السكة
والالتحاق بقوات العشائر
سرية خيالة
بهجة الكردي
لواء رشيد علي
لواء تحسين علي
لواء السيد طاهر يوسف
كتيبة
اسماعيل
نافق
خط مراقبة الجناح الأمير

بأكثر من ٦٠٪ في اللوائين، بين جريح وقتيل، وكان بين القتلى بهجة الكروي ورشيد المندلاوي وبين الجرحى تحسين علي وعدد من الضبّاط الشبّان أكثرهم من العراقيين والفلسطينيين لا تحضرني أسماؤهم.

الإغارة على قلعة المدور

أمّا في جبهة جنوب معان فقد كان من أهم الغارات، الإغارة على محطة قلعة المدور. فالغارة الأولى قامت بها قوّة بدوية من بني عطيّة، فخطفت بعض أفراد حامية المخافر في أطراف القلعة ولم تستطع مهاجمة القوّة الأصلية في المحطة.

الهجّانة الأوستراليين

ثم جاءنا عن طريق وادي عربة لواء من الهجّانة الأوستراليين، من الجيش البريطاني في فلسطين، يبلغ عدد رجاله حوالى ١٢٠٠ هجّاناً بتجهيزات كاملة ومعهم رشاشات خفيفة، رأيناها لأول مرّة، تُسمى الهوجكس، وهي تبرد في الهواء. فتوجهت هذه القوّة الى القلعة واستولت عليها وأسرت حاميتها البالغ عددها ٨٠٠ جندي وحمل كلّ هجّان أوسترالي أسيراً تركياً وراءه على جمله وجاؤا بهم الى أبي اللسن، ثم نقلوهم الى فلسطين سالكين نفس الطريق الذي جاؤوا منه.

نوط معان

وبعد الحرب أحدث نوط سُمّي (نوط معان) مُنِحَ للذين اشتركوا في هذه المعارك.

وفي خلال شهر حزيران وتموز أغارت علينا بضع مرات الطائرات الألمانية بمجموعات تتراوح بين رفّين أو ثلاثة، وكانت تقصف مراكزنا في الوهيدة وأبي اللسن والعقبة. وكانت المقاتلات البريطانية تتصدى لها احتياطاً وتُسقِطُ بعضها. وقد أصابت عدداً غير قليل من ضبّاط وجنود البطّاريّة الفرنسية.

ومن المفيد أن تكون لكم فكرة عن التموين قبل البدء في المحاضرة الثالثة. ففي طيلة هذه المدّة، كان التموين مقتصراً على الرُز والسمن واللحم، وأحياناً كنا نستطيع الحصول على الخضر المجففة والبقول، وكانت كمية السكر والشاي والبُن كثيرة وقد أشارت علينا القيادة البريطانية باستعمال عصير الليمون للإستعاضة عن الخضر الطرية وكانت ترسل لنا كميات كبيرة منه.

واجتناباً لغمط حق إخواننا السوريين فانني أودُّ أنْ انوّه هنا بخدمات بعض الضبّاط السوريين الذين استبسلوا معنا كشوكت العائدي، وصبحي العمري وزكي الدروبي وبهجت الشهابي وابن عمه والشيخ فريد الخازن مرافق الأمير فيصل وفخري البارودي وصبحي الخضراء وزكي المهايني ومحمود الهندي ومصباح البيروتي ورفقائهم.

المحاضرة الثالثة

أُلقِيَتْ في دار الضبّاط في ٨ مايس ١٩٤٧

القسم الثالث: تقدم الجيش العربي من شهر اغسطس ١٩١٨
حتى يوم إعلان الهدنة

تأليف جحفل سيّار

في أَحَدِ الأيام من أوائل تمّوز سنة ١٩١٨، جاءني لورنس الى خيمتي، فدخلتُ معه في بحث طويل شامل حول صعوبة تموين الجيش العربي. وكانت العشائر المتطوعة قد أظهرت رغبتها في تموينها من مؤن الجيش، وبدا كسلها وتقاعسها في نقل ما تحتاج اليه من المؤن من العقبة، مما اضطر سموّ الأمير فيصل الى مسايرتها في كثير من الأحيان، الأمر الذي زاد في صعوبة تموين الجيش النظامي وكثرة خسائره في الوقائع الأخيرة وتأخر ورود المتطوعين لتقويته. وقد بدت للورنس فكرة

تكوين جحفل سيّار يكون صالحاً للسير مسافات بعيدة كجبل الدروز ودرعا. فذكرته برأي عزيز علي المصري بهذا الشأن يوم كنا في رابغ، ذلك الرأي الذي سبق ان ذكرته لكم في حديث سابق، وحبذتُ هذا الرأي. إلاّ أنَّ الصعوبات في تحقيق تكوين الجحفل، كانت في الحصول على عدد من الهجن الكافي لتحقيق هذه الفكرة، ولأنَّ الجمال الإعتيادية لا تصلح لمهمة كهذه بالنظر الى بطء سيرها، فضلاً عن تعذُّر الحصول على العدد الكافي منها في هذه المنطقة.

وبعد أن بحثنا هذا الموضوع من شتى نواحيه، عاد لورنس الى مقره. وبعد أُسبوع من عودته، أخبرني بأنَّ اللورد اللنبي يؤيّد فكرة تكوين هذا الجحفل، وانه سيوفد ضابطاً للمداولة مع سموّ الأمير فيصل بشأنه، وانه اخبر سموّ الأمير بذلك.

وبعد مرور بضعة أيام حضر الكولونيل داوني، موفداً من قبل اللورد اللنبي وكنتُ حينئذ وكيلاً عن جعفر العسكري الذي سافر الى مصر لمقابلة عائلته القادمة من بغداد. فعقدنا اجتماعاً بحضور سموّ الأمير فيصل حضره الكولونيل داوني ولورنس والكولونيل جويس والميجر يونك (وهو الذي اصبح فيها بعد السير هوبرت يونك أوّل وكيل سفير بريطاني في بغداد) فتداولنا في أمر هذا الجحفل وما يحتاج اليه من مؤن وسلاح ووسائط نقل لتحقيق مهمته بنجاح. وتمَّ الإتفاق على أن نتولى نحن الثلاثة، أنا ولورنس ويونك، درس احتياجات هذا الجحفل وتثبيتها.

لقد بدا لي لأوّل وهلة، أن تكون حركة هذا الجحفل عن طريق الصحراء، وليس في الصحـراء ماء يستـطيع الجحفـل الاعتماد عليه إلاّ في الجفرويقع على بعد ٢٥ ميلاً شرقي معان، ثم آبار البائر وتقع على بعد ٩٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من الجفر، ثم قصر الأزرق وهو يقع على بعد ١٢٠ ميلاً الى شمال آبار البائر، كما يبعد ١٢٠ ميلاً عن درعا و١٤٠ ميلاً عن جبل الدروز (وهذه الأبعاد تقريبية طبعاً).

وفضلاً عن الماء فانه لا يمكن الحصول على المواد الغذائية في هذه الصحراء لتأمين حاجة الجحفل. لذلك كان لزاماً على الجحفل أن يحمل معه، على أقلّ تقدير ما يكفيه من الماء لمدة ستة أيام، وما يكفيه من الـطعام والعلف لمـدة لا تقلّ عن عشرين يوماً.

ولأجل ضمان نجاح هذا الجحفل في حركاته، رأينا ان نختار لواء من المشاة، مضاعفين فيه عدد الرشاشات الثقيلة والخفيفة، ومضيفين اليـه بطّاريّـة جبلية وسـرية من الهنـدسة لتخريب الجسور والمحطات.

ولدى المداولة في هذه الأمور، ظهر لنا أنَّ هذا الجحفل يحتاج الى ما لا يقلُّ عن خمسة آلاف هجين لتحقيق أغراضه، إلاَّ أنّنا وجدنا أنَّ المتيسر لدينا من الهجن لا يزيد على ثلاثة آلاف هجين ممّا اضطرنا الى تخصيص ألف هجين فقط لنقل الجنود المقاتلين وألفين لنقل الطعام والماء والعلف والعتاد بالمقدار الذي ذكرته.

وقد طلبنا الى القيادة البريطانية ان تزوّد مشاتنا بما لا يقل عن خمسين بندقية من الرشاشات الخفيفة المسماة (هوجكس) التي كان يستعملها الهجّانة الأوستراليون.

ثم طلب منا ان نصرف النظر عن سرية الهندسة وذلك لأنَّ القيادة البريطانية ستمدنا بسرية من الهندسة المصرية بقيادة الميجر بيك، الذي أصبح فيها بعد مستشاراً عسكرياً في شرق الأردن، وسرية ثانية هندية بقيادة الميجر هورنبي، على أن تتولى هاتان السريتان أمر إعاشة نفسيهما وحمل ما تحتاجان اليه من الديناميت والمواد الحربية الأخرى.

وتقرر ان يلحق بهذا الجحفل البطّاريّة الجبلية الفرنسية من عيار ٦,٥ سنتيمتراً بقيادة الكابتن بيزاني ومعها ما يقرب من ثلاثة آلاف قذيفة وعُيّنَ الميجر ينك آمراً للنقل والتجهيزات في هذا الجحفل.

وفي شهر أغسطس، بينما كانت الاستعدادات لتنظيم هذا الجحفل آخذة في التقدم، أسرَّ الينا أنّ في نية الجيش البريطاني القيام بهجوم عام على الجيش التركي خلال شهر أيلول، وان على هذا الجحفل ان يتحرك قبل هذا التاريخ الى ما وراء خطوط المواصلات التركية وأهمها محطة درعا، لشلّ حركة تموين الجيش التركي وإجبار القيادة التركية على إرسال قواتها الإحتياطية لمقابلة هذا الجحفل في أطراف درعا. وبناء على ذلك، يتحتم على الجحفل ان يتحرك في أواخر اغسطس، ليتمكن من القيام بمهمته في أواسط أيلول.

وقد أمر سموّ الأمير فيصل بأن أقود هذا الجحفل بنفسي

على ان يكون سموّه معنا في هذه الحملة، وعهد بالقيادة العامة في أبي اللسن الى أخيه سموّ الأمير زيد، وأمر باستدعاء جعفر العسكري من مصر فوراً ليتولى قيادة الجيش النظامي المرابط في أطراف الوهيدة وسمنة.

ثم اخترنا خيرة المقاتلين من المشاة من لواء تحسين علي ووضعناهم تحت قيادته وجهزناهم بالرشاشات الخفيفة الهوجكس وعددها ٤٨ رشاشة علاوة على ١٢ رشاشة من طراز فيكرس الثقيلة. وكان عددهم نحو من ٨٠٠ مقاتل وما يقرب من ٢٠٠ جندي غير مقاتل كجنود النقليات والإسعاف والإعاشة.

أمّا القوّة العشائرية فكانت تقدر بنحو ثلاثة آلاف مقاتل من عشيرة الرولة مع شيخها نوري الشعلان، ونحو خمسمائة مقاتل من عشيرة التوايهة مع رئيسها عودة أبو تايه، ونحو ألف مقاتل من عشيرة الحوارته وعشائر أخرى. وكان على هذه العشائر ان تتولى أمر تموينها بنفسها.

وقد أعددنا للبطّاريّة الفرنسية من الهجن ما يكفي لنقل مدافعها وعتادها. أمّا بغالها وبغال رشاشاتنا وخيل ركوب الضبّاط، فقد تقرّر أن تُقاد من غير أن تحمل شيئاً، وذلك لتحتفظ بنشاطها وقوتها للإستفادة منها عند الإقتراب من خطوط القتال.

وطلبتُ من علي جودت الأيوبي وجميل المدفعي وعبد الحميد الشالجي أن يكونوا معنا في مقر قيادة الجحفل.

وقُبيل زحف الجحفل وصلنا بعض المتطوعين عن طريق

الصحراء من جبل الدروز وهم، رستم حيدر ورفيق التميمي وأحمد قدري وتحسين قدري الذي عيّنته مرافقاً لي.

زحف الجحفل

وفي أواخر أغسطس زحف الجحفل متجهاً نحو الجفر، بقيادة علي جودت الأيوبي. وبعد أن قطع السكة الحديدية في جنوب معان وصل الجفر وعسكر فيه. ثم ذهبنا مع سموّ الأمير فيصل وفتشنا هذه القوات، وبعد أن رأينا سيرها نحو آبار البائر عدنا مع سموّه إلى أبي اللسن.

وفي اليوم السادس من شهر أيلول وصل الجحفل الى قصر الأزرق وكان جعفر العسكري قد وصل وتسلم قيادة الجيش النظامي فسافرنا بمعية سموّ الأمير فيصل بسيارة نقل إلى قصر الأزرق ترافقنا أربع سيارات بريطانية مدرعة ونقلية آلية بريطانية أيضاً ومعنا الكولونيل جويس واللورد ونترتن الذي نشر مذكراته عن هذه الحملة في أوائل عام ١٩٢٠ في مجلة بلاك وورماغازين.

ولمّا وصلنا الى قصر الأزرق، فتّش سموّه القوّات واطمأنّ إلى أنَّ الخطة يجري تنفيذها بدقة ونجاح، ثم تقرر أن يكون قصر الأزرق مقر قيادة سموّه وأن تُترك فيه الأحمال الثقيلة الزائدة وهيأنا مطاراً لنزول الطائرات. وقد وصلت أوّل طائرة من طراز هدلي بيغ مع قائد الجو جفري سالمون وبورتون، ووصلت الطائرات التي كانت في العقبة. وكانت الطائرة هدلي بيغ موضع اعجاب الجميع لضخامتها وتقرر أيضاً أن يزحف

الجحفل باتجاه درعا عن طريق الصحراء، على ان تكون منطقة المتاعية آخر محل يقضي فيه الجحفل آخر ليلة من مسيره وذلك لوجود غدير ماء فيه يكفي الجحفل بضعة أيام.

وفي ١٤ أيلول ١٩١٨ وصلنا الى المتاعية وتقرّر قبل القيام بالهجوم، أن تقوم ما لا يقلّ عن ٣٠ طائرة من القوّة الجوية البريطانية بقصف محطة درعا ثم يهاجم الجحفل تل عرار وهو موقع محصّن في شمال درعا ويبعد عنها حوالى ١٢ كيلومترا. وفي الوقت نفسه يقوم لورنس مع السيارات المدرعة وقوّة بدوية بمهاجمة محطة نصيب من الجنوب ومعه سرية الهندسة المصرية لتخريب السكة.

وفي صباح ١٥ أيلول سنة ١٩١٨ نُفّذت هذه الخطة واستولى الجحفل على تل عرار بعد أن قُصفت محطة درعا وأُسر من بقي فيها على قيد الحياة من الحامية التركية في تل عرار وعددهم ٢٠٠ أسير وقد شاهدنا أربع طائرات ألمانية تُقلع من درعا متجهة الى الجنوب، واستولت القوّة البدوية والسيارات المدرعة البريطانية على محطة نصيب وبقيت مرابطة في شرق السكة الحديدية بانتظار عودة الجحفل بعد انتهاء مهمته.

ثم توجهت سرية الهندسة الهندية وخربت السكة بين محطة خربة الغزالة وتل عرار كما أنَّ سرية الهندسة المصرية قامت بتخريب السكة في أطراف محطة نصيب بعدها، توجه الجحفل بكامله من تل عرار الى محطة مزيريب فاستولى عليها بعد مقاومة طفيفة وأسر حاميتها وكان عددها ضئيلاً.

أمضى الجحفل ليلة ١٦/١٥ أيلول سنة ١٩١٨ في محل يقرب من شلّال تل شهاب الذي يقع على طريق السكة الحديدية بين درعا وحيفا. وكان في شلّال تل شهاب جسر مهم وكانت النية منصرفة الى مهاجمته في تلك الليلة، وكانت الحامية التركية هناك تُقدر بفوج واحد إلّا أنّه اتفق أنِ التجأ إلينا في الليلة نفسها ضابط أرمني برتبة رئيس وأخبرنا بأنَّ نجدات تركية تُقدر بأكثر من لواء مع قوّات أخرى من الإحتياط التركي على وشك الوصول الى شلّال تل شهاب، فلمّا سمعنا بذلك وسمعنا صفير القاطرة ليلاً اجتمعنا وتداولنا في الأمر فقررنا صرف النظر عن مهاجمة شلّال تل شهاب.

وفي صبيحة يوم ١٦ أيلول سنة ١٩١٨ توجّه الجحفل الى قرية الرمثة، بعد أن أجرى التخريبات في السكة الحديدية بين درعا وحيفا ومنها توجه الى محطة نصيب فوجدناها مشغولة بقوات تركية جسيمة ومعها مدفعية كانت قد وصلتها قبل بضع ساعات فاصطدمنا بها في المساء واستمر القتال طول الليل، ولمّا لاح نور الصبح وجدنا أمامنا قوّة لا تقلُّ عن فرقة وصلت من الجنوب لمقاتلتنا في ذلك الموقع فتجنبنا الإلتحام بها وانسحب الجحفل الى المتاعية وكنا على بعد نحو خمسة عشر كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من محطة نصيب وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات من السكة الحديدية المارة من نصيب الى المفرق.

وبعد أن قضينا ليلة ١٨/١٧ أيلول في المتاعية، ذهب لورنس بالطائرة، ليستقصي أخبار هجوم الجيش البريطاني في

جبهة فلسطين وانتظاراً لعودته صممنا الذهاب الى أُم السراب لنتجنب الإصطدام بالقوات التركية.

وفي ١٩ أيلول عاد لورنس وأخبرنا بأنَّ الجيش البريطاني نجح في تقدمه واخترق خطوط الجيش التركي في جبهة الجيش السابع والثامن، وانه مسرع في تقدمه لا سيّما وأنَّ لديه فيلق من الخيالة يتكون من فرقتين هنديتين وفرقة أوسترالية وهي مسرعة في تعقُّب فلول الجيش التركي، وأضاف لورنس، ان الجيش الرابع التركي في جهة الشريعة قد يضطر الى التقهقر من تلقاء نفسه وإلاّ فسيقع أسيراً برمته.

سير الجحفل وراء خط درعا.

هذه الأخبار جعلتني أفكر في ضرورة سير الجحفل والقوّات البدوية الى ما وراء خط درعا ـ طبرية وذلك لأني كنت أتوقع أن يكون خط القتال للجيش التركي المنسحب بين درعا وطبرية، إلاّ أن البعض كان يرتأي ضرورة قيام الجحفل والقوّات البدوية بشن غارات وراء الجيش الرابع التركي باتجاه محطة مفرق، وكانت أكثرية الآراء تؤيّد هذه الفكرة. ولأجل الوصول الى حلّ الإختلاف بيننا وبين الضبّاط البريطانيين، ذهبنا الى سموّ الأمير فيصل ومعنا لورنس وعرضنا الفكرتين على سموّه فأمر بأن تُشنّ الغارة يوماً واحداً على محطة المفرق، ثم يذهب الجحفل والقوّات البدوية الى محل الشيخ سعد الذي يبعد بضعة كيلومترات عن جنوب غربي الشيخ مسكين وفيه نتلمس الأخبار لشن الغارات على خطوط مواصلات الجيش التركي.

وتنفيذاً لأوامر سموّ الأمير فيصل، تحرك الجحفل وقاتل قسم منه في محطة المفرق التي كان فيها قسم من القوات الألمانية المتقهقرة من الجيش الرابع، فقاومت برشاشاتها وبندقياتها طيلة النهار ثم انسحبت في المساء الى الجهة الغربية ولم يتمكن الجحفل من الإقتراب منها، وبعد أن دمّرت المحطة ووضعت الألغام لنسف السكة الحديدية، واصل الجحفل سيره ليلاً فوصل الى الشيخ مسكين في ٢١ أيلول ١٩١٨، وفي اليوم نفسه، بلغنا أنَّ فرقة الخيالة التركية المتقهقرة على طريق درعا ـ طفس فتكت بأهالي طفس وقتلت النساء والأطفال، وكان رجال طفس قد التحقوا بنا مع شيخهم طلال فأرسلنا قوّة لحماية أهل طفس وشنّ الغارات على الفرقة التركية. وبينما كانت فرقة الخيالة التركية تستريح في طفس داهمتها القوّة التي أرسلناها فوقع قتال عنيف بين الفريقين استعملت فيه الفرقة التركية الرمانات اليدوية ممّا أدّى الى قتل شيخ طفس وفريق من أهالي القرية والبدو. ففتحنا نار مدفعية البطّاريّة الجبلية فكان ذلك مفاجأة لهذه الفرقة فتشتت شملها وتركت كثيراً من الجرحى والأسرى بأيدينا.

وفي المساء، فوجئنا بمرور قوافل تركية بالقرب منّا، فوقعت غنيمة باردة في أيدينا. وكان من جملة ما غنمناه عدّة صناديق فيها ملابس القائد التركي مصطفى كمال. وبقينا طيلة هذه الليلة نستقبل فلول الجيش التركي المنهزم وهي تستسلم إلينا من تلقاء نفسها. بلغ عدد الأسرى حتى الصباح حوالى ستة آلاف أسير وهو عدد كبير لم يكن لدينا من الجنود ما يكفي

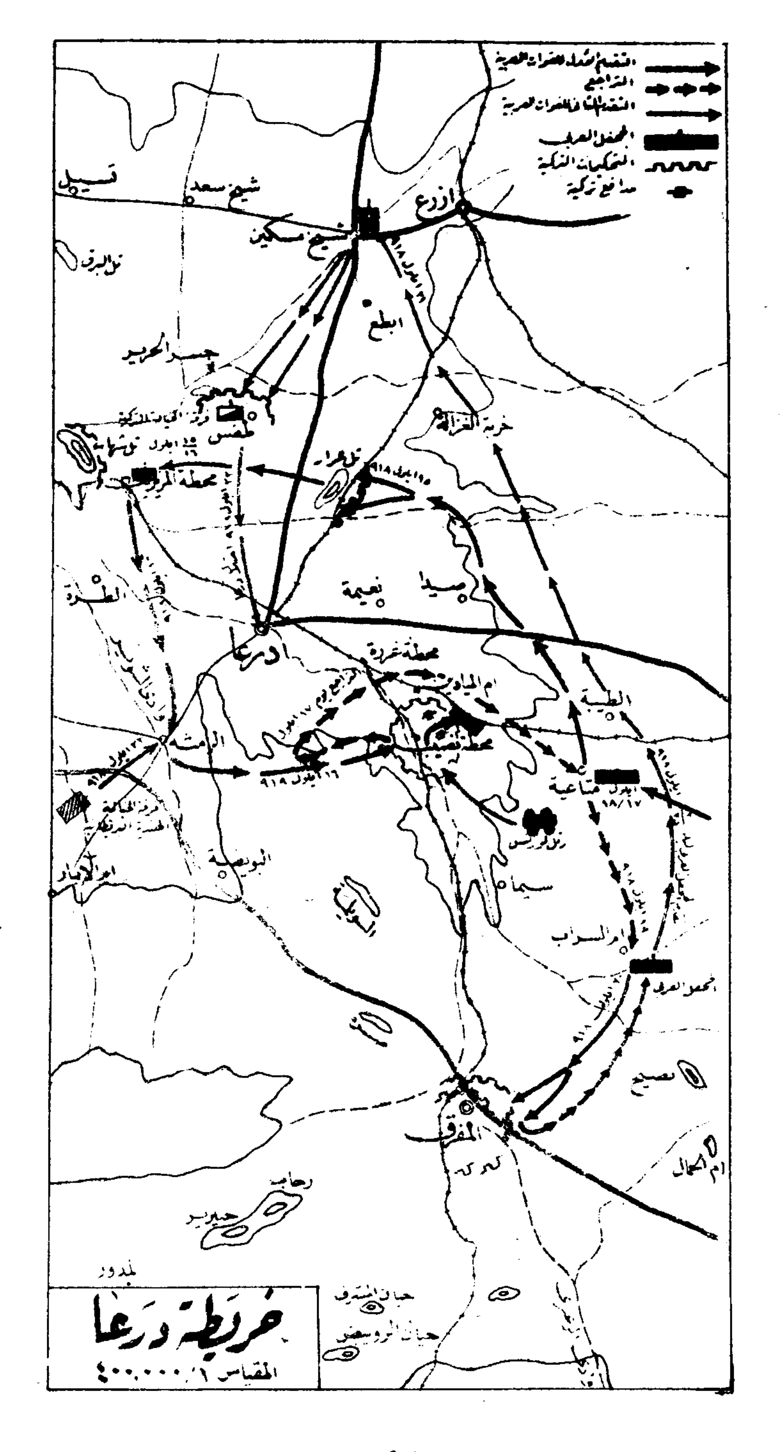
لحراسته فضلاً عن صعوبة إعاشته إذ لم يبق لدينا غير جزء يسير من الطعام مما اضطرنا الى شراء المواد الغذائية من أهل القرى في حوران. أمّا الغنائم من وسائط النقل والخيل والرشاشات والبندقيات فقد كانت كبيرة. كما عثرنا على عدد كبير من المدافع متروكة على حافة الطريق بدون خيل.

دخول درعا

وفي صبيحة يوم **٢٢** أيلول **١٩١٨** دخلنا درعا واحتللنا محطتها، وقيل لنا أنَّ القادة الأتراك جواد باشا وجمال باشا الصغير ومصطفى كمال باشا وغيرهم كانوا في محطة درعا وانهم غادروها قبل وصولنا اليها ببضع ساعات. فشرعنا فوراً في تنظيم الإدارة المحلية في المدينة ومحطتها وعيّنا من أهلها من يتولى مسؤولية الأمن فيها.

اتصال القوات البريطانية بالجيش العربي

وقُبيل الظهر من اليوم نفسه وصلت طلائع الخيالة الهندية البريطانية عن طريق إربد ـ الرمثة وهي من فرقة الخيّالة الرابعة، فحصل أوّل اتصال مباشر بين الجيش العربي النظامي والقوّات البريطانية، وبعد نصف ساعة من وصول هذه الطلائع جاءني قائد الفرقة الجنرال بارو، وطلب منّي إخلاء المحطة لتشغلها فرقته، فرفضتُ هذا الطلب وحصل بيننا نقاش تدخل فيه لورنس، ففهمتُ ممّا دار بين لورنس وقائد الفرقة أنَّ القيادة البريطانية كانت قد زوّدت لورنس بكتاب تقول فيه: أنَّ ما يحتله الجيش العربي النظامي يكون تحت الإدارة العربية مباشرة،


خريطة درعا
المقياس ١/٤٠٠,٠٠٠
درعا
شيخ مسكين
ازرع
المفرق
الرمثا
تل عرار
سيما
الطيبة
محطة غزالة
ام المياه
ام السراب
نصيب
جسر الحرير
تل الدرة
نعيمة
الطرة
البويضة
ام الجمال
رحاب
حيان المشرف
حيان الرويشد

وقد أخرج لورنس هذا الكتاب وأطلع القائد عليه، فانتهت المشكلة وأقامت الفرقة معسكراتها خارج المحطة، ولم تتدخل في الإدارة المحلية، التي كانت أوّل إدارة مدنية للجيش العربي في منطقة سُوريا.

مهاجمة العشائر للفلول التركية

وبينما كانت فلول الجيش التركي تتقهقر بين درعا ودمشق، هبّت العشائر في جنوب دمشق هبّة واحدة وبدأت تُغيرُ عليها ممّا أدّى الى بعثرتها وتدميرها. وكانت أكثرية هذه العشائر من الدروز برئاسة سلطان باشا الأطرش، والروله برئاسة ابن شعلان، وعشائر حوران، وعشائر اللجاء.

الأسرى الأتراك

ولما وصل سموّ الأمير فيصل الى درعا، اتجه الجحفل مسرعاً الى الشمال، فوقع بيده من الأسرى الأتراك ما لا يقل عن ٢٦,٠٠٠ جندي وهو عدد ضخم يصعب على الجحفل السيار حراستهم وإعاشتهم.

أمّا الأسرى الباقون فقد تركنا أمر جمعهم لقوات الخيّالة الهندية التي كانت قادمة من الجنوب، وقد علمنا ممّا نشرته القيادة البريطانية أنَّ ما تجمّع لديها من الأسرى، في خلال زحفها على دمشق بلغ حوالى ٦٨,٠٠٠ جندي.

الزحف على الكسوة

تمَّ الإتفاق بيننا وبين القيادة البريطانية على أن يسير

الجحفل باتجاه طريق سكة حديد الحجاز، ويترك الطريق الإعتيادي لفيلق الخيّالة البريطاني الذي كان مؤلفاً من الفرقتين الرابعة والخامسة الهندية الخيّالة وفرقة الخيّالة الأوسترالية بقيادة الجنرال الأوسترالي شوفيل. وفي أثناء تقدمنا، علمنا أنَّ قوّة تركية لا يُعرف عددها، رابطت في موقع الكسوة جنوب دمشق، وأنّ هذا الموقع قد حُصّنَ ليكون آخر خطّ دفاع لمدينة دمشق وانه تولى أمر تحكيمه القائد السوري الفريق علي رضا الركابي باشا.

وبعد أن بتنا ليلة ٢٣ أيلول في المسمّية في جنوب الكسوة، جاءنا ضابط بريطاني مُرسَل من قبل قائد الفرقة الرابعة الخيّالة الهندية ليكون ضابط ارتباط في مقرنا.

وفي يوم ٢٤ أيلول، بينما كنّا نسير، وصلتني رسالة من أحد رؤساء العشائر يخبرني فيها بوجود قوّة تركية مع مدفعية في موقع الكسوة، فقررنا مباغتتها ليلاً بقوّة عشائرية على أن يتقدم الجحفل في الصباح لنجدتها. وقد نجحت المباغتة الليلية، وسمعنا إطلاق المدافع من الكسوة، فحذرنا الفرقة الهندية لأخذ الحيطة والتيقظ في الزحف لئلاّ تتكبّد خسائر جسيمة بالنظر لمناعة موقع الكسوة وقوة دفاعه. وقد تمّت المباغتة ليلاً وسمعنا دويّ المدافع ثم انقطاعه فجأة وفي الفجر وجدنا ثلاث بطّاريّات ونحو ١٨ رشاشة متروكة في الخنادق في موقع الكسوة، وكانت قوة المشاة التركية لا تزيد عن أربعة افواج، وقد قاومت مقاومة طفيفة ثم فرّت واستسلمت بدون نظام.

دخول دمشق

دخلت القوّة العشائرية دمشق، وفي صباح يوم **٢٥** أيلول دخلها الجحفل واتخذنا اوتيل فكتوريا مقرّاً للقيادة العربية.

وبينما كانت الفلول التركية تستسلم للقوات العربية، أخذنا في تنظيم الإدارة المدنية في دمشق، وأخبرنا سموّ الأمير فيصل بما حصل ليحضر الى دمشق على جناح السرعة.

التحرّي عن ياسين الهاشمي

وكان من جملة أعمالنا، حين دخلنا دمشق، التحرّي عن ياسين الهاشمي، الذي كان قائداً لأحد الفيالق في الجيش الرابع التركي. وكانت قد سبقت لنا محاولات كثيرة لتسهيل هروبه والتحاقه بنا فلم نوفق الى ذلك، فقمتُ أنا شخصياً وجميل المدفعي وعلي جودت بالبحث الدقيق عنه للعثور عليه. وكنا ننتقل من محل الى آخر نستقصي أخباره حتّى عثرنا عليه حوالى منتصف الليل. وكنّا في الوقت نفسه نفتش عن ضبّاط آخرين ونطمئن الى استتباب الأمن في المدينة. وكنّا قد فرضنا نظام منع التجول بعد غروب الشمس خشية قيام القوات البدوية بنهب المخازن والأسواق.

إبادة فيلق ياسين الهاشمي

ولما عثرنا على ياسين الهاشمي، كما ذكرتُ، وجدناه مصاباً بطلقة في خدّه وقد أخبرنا بأنَّ العشائر هاجمت فيلقه فقضت عليه بأجمعه وقُتل رئيس أركانه كما جُرح هو نفسه. ثم سألنا عن

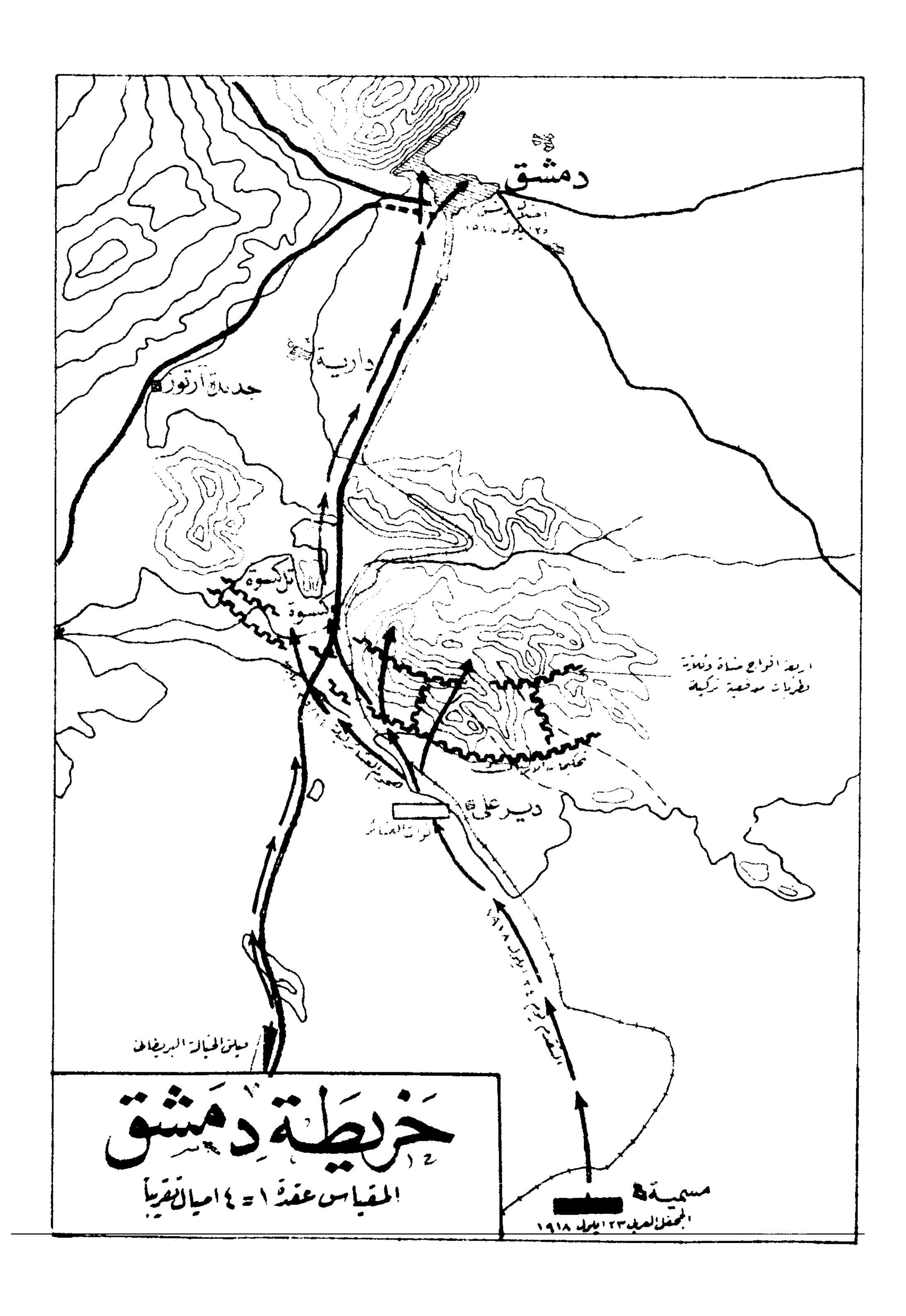
سموّ الأمير فيصل وحبّذ عدم الإنضمام الى جيشنا حتّى يصل سموّه الى دمشق ويتشرف بمقابلته.

تنظيم الإدارة المحلية في دمشق

علمنا أنَّ كثيراً من الضبّاط العرب وقعوا أسرى بيد القوات البريطانية في خلال هذا الزحف. فطلبنا الى القيادة البريطانية أن تسلِّم إلينا فوراً كافة الضبّاط العرب لأننا كنّا بحاجة شديدة اليهم لعزمنا على تكوين قوّات متطوعة جديدة لحفظ الأمن في دمشق. فأطلقت القيادة البريطانية سراح الفريق علي رضا الركابي باشا والفريق شكري الأيوبي باشا وعبد الحميد باشا وقادة آخرين مع بضع مئات من الأركان والضبّاط وضبّاط الصف والجنود. فجمعت هؤلاء القادة مع وجوه مدينة دمشق كأحمد الحسيبي وذوات من آل العظم وغيرهم وسلطان الأطرش وعودة أبو تايه ونوري الشعلان. وحضر الإجتماع الشريف ناصر أبو سيف، فتداولنا في أمر تنظيم الإدارة في دمشق وعيّنا علي رضا الركابي حاكماً عسكرياً لها مؤقتاً ريثما يصل سموّ الأمير فيصل.

برقية وجهاء بيروت

في صباح يوم ٢٦ أيلول وصلتني برقية معنونة باسم القيادة العربية، من وجوه بيروت أذكر منهم، مختار بيهم وسليم الطيارة، يذكرون فيها أنَّ السلطات التركية قد انسحبت من بيروت، ويطلبون إرسال مَنْ يُمثّل الشريف لتنظيم الإدارة فيها. فأجبتهم شاكراً وطلبتُ اليهم تأليف لجنة من الوجهاء المواطنين لحفظ الأمن والنظام بينما تصلهم قوّة من الجيش العربي


دمشق
دارية
جديدة أرتوز
تل كسوة
كسوة
دير علي
اربعة افواج مشاة وثلاثة
بطريات مدفعية تركية
فيلق الخيالة البريطاني
خريطة دمشق
المقياس عقدة ١ = ٤ اميال تقريباً
مسمية
الجحفل العربي ٢٣ ايلول ١٩١٨

لمساعدتهم في مهمتهم، ثم ذكّرتهم بضرورة رفع الراية العربية على دور الحكومة بأجمعها ووصفتُ لهم شكل الراية العربية وقد علمتُ بأنهم نفّذوا ما طلبته منهم.

ومما يؤسف له أنَّ القوات البدوية المرابطة في دمشق قامت في ليلة ٢٦ أيلول بنهب مخازن السلاح والذخيرة العائدة للجيش التركي، وخشية من تسرب أعمال النهب الى المخازن الأخرى والأسواق، أمرتُ عبد الحميد الشالجي، الذي كنتُ قد عيّنته قائداً لمدينة دمشق، أنْ يقطع الطريق بوجه القوّات البدوية وأن يُطلق النار على كلّ واحد منها يحمل المنهوبات، وأن يخرج كافة القوّات البدوية الى ظاهر دمشق فوراً. فنفذ عبد الحميد الشالجي هذا الأمر بعد أن اضطرّ الى قتل أكثر من عشرين بدوياً لم يطيعوا الأمر.

وصول سموّ الأمير فيصل الى دمشق

وفي صباح يوم ٢٧ أيلول، وصل سموّ الأمير فيصل الى دمشق قادماً من درعا، فاستقبلته العاصمة الأمويّة إستقبالاً رائعاً لم يسبُق له مثيل، وبعد أن استقرَّ المقام بسموّه أخبرته بأنَّ القوات التركية في شمال دمشق ضئيلة لا يؤبه لها، وأنَّ الخطَّ البرقي مفتوح الى بيروت، وأطلعته على برقية وجهاء بيروت وجوابي عليها.

الزحف على بيروت

فأمر سموه بأن يرسل حالاً قسم من القوّة الجاهزة من

الجحفل بقيادة الفريق شكري الأيوبي باشا لاحتلال بيروت عن طريق جبل عامل. وقد استدعى سموّه الأيوبي باشا وأبلغه هذا الأمر، فخصّصنا له قوّة لا تزيد عن مائة جندي مع ثمانية رشاشات خفيفة ثم زحفت هذه القوة في ٢٨ أيلول.

مقابلة اللورد اللنبي لسموّ الأمير فيصل

وفي مساء اليوم نفسه، ٢٨ أيلول، وصل الى دمشق اللورد اللنبي وقابل سموّ الأمير فيصل وقدّم لسموّه التهاني على انتصارات الجيش العربي.

ولما اجتمعنا للعشاء في أوتيل فكتوريا، كان الى جانبي الجنرال كلايتن، الذي اصبح فيما بعد مندوباً سامياً في العراق، فسألني عن وضع الجيش التركي فأخبرته بعدم وجود قوّات منه ذات شأن وأنَّ فلول هذا الجيش مستمرة على الإستسلام. ثم سألني عن وضع جبل لبنان وبيروت فأخبرته بمضمون البرقية التي وصلتني من وجهاء بيروت وجوابي عليها. وكان الى يساري ضابط فرنسي يُسمّى كولوندر، والذي أصبح سفيراً لفرنسا في برلين قُبيل الحرب العالمية الثانية، والظاهر أنّ هذا الضابط كان يستمع الى حديثي مع الجنرال كلايتن، فما كان منه إلاّ أن ترك كرسيه على الأثر وخرج. فلاحظ الجنرال كلايتن هذه الحركة وقال اننا سنجابه مع الفرنسيين مشكلة من أعقد المشاكل.

ظهور الأسطول الفرنسي في مياه بيروت

وفي اليوم الثاني ظهر في مياه بيروت أسطول فرنسي يحمل قوّات فرنسية بقصد إنزالها في بيروت. إلاّ أنَّ المواطنين من

أهالي بيروت منعوا إنزالها واستمر الجدل بين الفرنسيين من جهة وأهالي بيروت ومعهم الأيوبي باشا الذي وصل آنذاك، من جهة أخرى. وأصرَّ أهالي بيروت على رأيهم حتى أنَّ نوتية القوارب الصغيرة في ميناء بيروت امتنعوا عن مساعدة الفرنسيين فيما أرادوا.

وكان الفيلق البريطاني الزاحف عن طريق الساحل قد وصل الى جوار حيفا. فطلب قائده الى الأيوبي باشا أن يسلِّم بيروت الى الفرنسيين إلاّ أنَّ الأيوبي باشا لم يلتفت الى هذا الطلب وأصرَّ على موقفه.

وبقيت هذه القضية بضعة أيّامٍ في أخذٍ وردٍّ بين القيادة البريطانية وبين سموّ الأمير فيصل تدخَّلَ في أثنائها جلالة الملك حُسين في الأمر، وانتهت بكتاب من القيادة البريطانية بتوقيع اللورد اللنبي موجّه الى سموّ الأمير فيصل يتضمن وعداً باسم الحكومة البريطانية، بأنَّ مقدرات جبل لبنان وبيروت ستُقرَّر وفق رغبات السكّان، وذلك بعد الظفر وعقد الهدنة، ويضيف الكتاب الى ذلك أنّه لا يجوز لقوّات الحلفاء، في هذا الدور الذي تقاتل فيه العدو المشترك أن تقاتل بعضها بعضاً.

وبناء على ذلك أصدر سموّ الأمير فيصل أمره الى الأيوبي باشا بإخلاء مدينة بيروت والعودة الى دمشق وتجنب الإصطدام بالفرنسيين وإسداء النصيحة الى أهالي بيروت لتجنب الإصطدام أيضاً بجيوشِ الحلفاء في هذا الوقت وافهامهم أنَّ مقدّرات هذه المنطقة سيُبَتُّ فيها وِفقاً لرغبة أكثريّة السكّان بعد عقد الهدنة.

الزحف على حمص وحماه

وقد جرت مداولات أخرى بين سموّ الأمير فيصل وبين اللورد اللنبي بشأن الحركات المقبلة وما يجب عمله في الوقت الحاضر بعد أخذ صعوبة المواصلات بعين الإعتبار لا سيّما والسكة الحديدية قد خُرِّبَتْ بحيث أصبح من المتعذر جلب المؤن والذخائر والعتاد من وراء الخطوط التي زحفت منها القوّات البريطانية. إنَّ تقدُّم جيوش الحلفاء بهذه السرعة لم يكن متوقعاً وكان من رأي القيادة البريطانية التريُّث في خط دمشق - ريّاق - بيروت، ريثما تتجمع القوات البريطانية وتنظم خطوط مواصلاتها وتصلح السكة الحديدية ولم يكن في أطراف دمشق في ذلك الوقت إلاّ فيلق الخيّالة البريطانية فقط، أمّا المشاة فقد كانوا في جنوب خطّ طبريا - حيفا.

أمّا رأي سموّ الأمير فيصل فقد كان مخالفاً لرأي القيادة البريطانية لأنَّ سموّه أوضح بأنَّ في إمكان القوّات العربية، وهي عبارة عن الجحفل السيّار والقوّات البدوية، أن تزحف الى الشمال بكلّ سرعة على أن تموّن نفسها من المناطق التي تصل اليها.

فوافق اللورد اللنبي على رأي سموّ الأمير فيصل على أن لا تتكل القوّات العربية على مساعدة الجيش البريطاني بصورة جديّة، وأظهر استعداده لإرسال قسم من قوّات الخيّالة البريطانية وراء الجحفل فيما إذا وافقت القيادة العربية على إمدادها ببعض الأرزاق والعلف من القرى التي تمرُّ بها. فوعد سموّه بذلك ووقّع كتباً عديدة موجّهة الى كافة رجال العرب

القاطنين في سُوريا يطلب فيها مساعدة القوّات البريطانية فيما تحتاج اليه. وبناء على هذا الإتفاق تحرَّك الجحفل، عدا البطّاريّة الفرنسية، بعد أن انضمَّ اليه عدد غير قليل من جنود وضباط صفّ من المتطوعين في دمشق وذلك في بداية شهر تشرين الأوّل عن طريق النبك ووصل الى حمص ثم واصل سيره فبلغ حماه دون أن يُلاقي أيّة مقاومة. وكان استقباله في المدن والقرى التي مرَّ بها رائعاً. وقد حاول بعض الضباط الأتراك المقاومة في حماه فمنعهم الأهلون وعشائر تلك المنطقة عن ذلك.

أمّا خيّالة الجيش البريطاني فقد توجهت الفرقتان الرابعة والخامسة الهندية منها عن طريق ريّاق ـ حمص ـ حماه، وكان بين مؤخرة القوّات العربية ومقدّمة الخيالة البريطانية مسافة أكثر من خمسين كيلومتراً.

الزحف على حلب

وفي ١٨ تشرين الأوّل أمرني سموّ الأمير فيصل بأن أُغادر دمشق وأتولى قيادة الجحفل بنفسي وذلك لأننا علمنا بأنَّ جيشاً تركياً وصل الى حلب وحكمها. وان الجحفل اقترب من محطة الحميدية وانه من المحتمل جداً أن يصطدم بهذا الجيش المتقدم، يُضاف الى ذلك أنَّ جيشاً عربياً حديثاً بدىء في تأليفه في دمشق بقيادة علي رضا الركابي على أن يكون ياسين الهاشمي رئيساً لأركانه وأن يُجلب قسم من الجيش المرابط في أبي اللسن الى دمشق.

وفي ١٩ تشرين الأوّل، غادرتُ دمشق على سيارة نقل من

طراز رولز رويز وكان معي الكولونيل ستيرلنك كضابط ارتباط بيني وبين القيادة البريطانيـة، فبتُّ ليلة في حمص التي كانت تعسكر فيها بعض القوّات البريطانية من فرقة الخيّالة الرابعة.

وفي يوم ٢٠ تشرين الأوَّل وصلتُ معرّة النعمان، وكانت الفرقة الخامسة الهندية في أطرافها. فعلمتُ أنَّ بعض الضبّاط العـراقيين والسـوريين استـطاعوا الفـرار من حلب والتحقـوا بالقوات العربية في حماه، وكان هؤلاء الضبّـاط برفقـة محمد العصيمي الذي سهَّل لهم سبل الفرار من حلب. وأمَّا الضباط فهم، علي رضا العسكري وأخوه تحسين العسكري، ومهدي الرحّال، ويوسف حنظل، ويوسف العزاوي، وعـدد آخر لا اتذكر اسماءهم. وقد حاولت الإتصال بهؤلاء الضبّاط للإستفسار منهم عن حالة الجيش التركي في حلب واستعداداته وخطوط دفاعه ومقـدرته عـلى المقاومـة في حلب، فعلمتُ أنَّ القائـد مصطفى كمال قد تولّى قيادة هذا الجيش وأنَّ قوته لا تزيد على فرقتين سيئتي التنظيم وأنَّ مدفعيته ضعيفة وقديمة، وأنَّ معنويات ضبّاطه وجنوده مضعضعة، أمَّا خطوط دفاعه فكانت قويّة من الجنوب والشرق والغرب إلاّ أنها مفتوحة في الشمال.

ثمَّ بحثتُ عن الجنرال ماكندرو، قائد الفرقة الخامسـة الهندية، التي كانت تتقدّم القوات البريطانية، فعلمتُ بأنه يرافق السيّارات المدرّعة البريطانية بالقرب من خان توما فذهبت اليه، وبعد التعارف أطلعني على كتاب محرّر باللغة التركية بتوقيع مدير الحركات في الفيلق التركي المرابط في حلب يذكر فيه أنَّ قائد الجيش التركي مصطفى كمال لا يرى مسوغاً للإجابة على كتاب

القائد البريطاني، فسألته عن محتويات الكتاب الذي كان سبباً لهذا الجواب؟ فأخرج صورة الكتاب الذي وجّهه الى القائد التركي وإذا به يطلب فيه من القائد التركي تسليم مدينة حلب الى القوّات البريطانية اجتناباً للقتال وتكبد خسائر لا فائدة من ورائها. فسألتُ القائد عمّا إذا كان بإمكانه أن يساعد الجيش العربي بسيّاراته المدرّعة المتقدّمة الى خان توما وذلك لأنَّ اللواء المتقدّم من فرقته كان لا يزال على بعد ثلاثين ميلاً من خان توما وان الألوية الأخرى أكثر بُعداً منه. فاستوضح عن خطتي التي أنوي تنفيذها فأوضحتُ له أنَّ لدينا في تلك الضواحي قوّة من العشائر تتراوح بين ثلاثة وأربعة آلاف مقاتل وأكثرهم من عشيرة عنزة برئاسة الشيخ مجحم بن مهيد وعشائر أخرى من الحديديين وغيرهم، هذا عدا القوّة النظامية التي التحق بها عدد غير قليل من الخيّالة المتطوعين، وأنَّ هذه القوّات ستتصل بخطوط دفاع الجيش التركي وسبر غورها وإذا وجدنا الفرصة ملائمة ففي نيّتنا مباغتة هذه القوّات من الجهة الشمالية لحلب حيث أنها مفتوحة وغير محصّنة، واني أرغب في الإستفادة من السيارات المدرّعة في إجراء الكشف واستطلاع خطوط الدفاع التركية ومواضعها وذلك في يوم ٢١ تشرين الأوّل.

فلمّا سمع منّي هذه الإيضاحات حبّذ الخطة وأمر آمر السيّارات المدرّعة وعددها إثنتا عشرة سيارة بتنفيذها.

ثم استقدمت علي جودت وعلي رضا العسكري الى خان توما واطلعتهما على خطتي، فأظهر علي رضا العسكري رغبته في تولي قيادة القوّة العشائرية مع بعض الضبّاط المتطوعين على أن

تكون مع هذه القوّة ٨ رشاشات خفيفة مع جنودها المدربين، وأخذ على عاتقه تحقيق الهجوم المفاجىء من الجهة الشمالية وذلك في ٢٢ تشرين الأوّل فوافقتُ على رغبته واصدرتُ الأمر بذلك، وتركتُ له حقّ اختيار الضبّاط وجنود الرشاشات من بين الذين سيتطوعون في هذه الحملة، وكان منهم مهدي الرحّال، ويوسف حنظل وآخرون لا أتذكر اسماءهم.

أمّا الجحفل فكان مُقرراً أن يزحف من الجنوب الى الشرق، بينما تقوم المدرعات البريطانية بالمناوشات من جهة الجنوب.

وفي يوم ٢١ تشرين الأوّل قامت السيّارات المدرّعة بالإستطلاع فحصلت مناوشات مع الجيش التركي وعيّنا مواقع مدفعيته وذلك عندما فتحت نارها على السيّارات المدرّعة.

وفي يوم ٢٢ تشرين الأوّل، تقدَّم الجحفل الى مسافة تبعد حوالى ستة أميال عن الخطوط التركية.

دخول حلب

وفي منتصف الليل من اليوم نفسه وصلني رسول من الخيّالة يحمل ورقة من علي رضا العسكري يقول فيها أنَّ قوّة العشائر وصلت الى الجهة الشمالية وتقدمت الى أطراف مدينة حلب، وأن ما ينوف على أربعمائة مقاتل مع جنود الرشاشات الخفيفة الثمانية والضبّاط قد دخلوا المدينة وباغتوا سراي الحكومة واستولوا عليها كما استولوا على مدخل قلعة حلب، وقد

حاول الأتراك استرداد السراي والقلعة فلم يفلحوا لشدّة مقاومة المتطوعين واستعمالهم الرشاشات والرمانات اليدوية التي كانت معهم، وهو يطلب أن يقتحم الجيش مدينة حلب وإلّا فسيصبح هؤلاء في عداد الموتى أو الأسرى وانه هو شخصياً معهم في السراي.

فذهبتُ من فوري واطلعتُ القائد البريطاني على الموقف، وطلبتُ منه أن يأمر السيّارات المدرّعة بمرافقة قواتنا قُبيل الفجر، للهجوم على خطوط الأتراك، وطلبتُ من علي جودت أن يبدأ بالزحف في الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٣ تشرين الأوّل.

ثم طلبت من القائد البريطاني أن يأمر الفرقة الخامسة بالزحف الى الأمام على صورة مستعجلة، فاستدعى رئيس أركان الفرقة الكولونيل هوتسن وأخبره بالموقف وطلب منه أن يحرّر أمراً الى آمر السيّارات المدرّعة بوضعها تحت أمرتي أتصرف بها كيفما أشاء. وبعد أن وقّع الأمر أخذته بيدي لتبليغه ثم أصدر أمراً إلى اللواء المتقدم والألوية الأخرى بتعجيل زحفهم الى الأمام وأخبر القيادة البريطانية بهذه التدابير لتحرك الفرقة الرابعة بنفس السرعة الى الأمام. ثم ودّعت القائد على أن التقي به غداً في حلب إن شاء الله فتمنّى لي التوفيق والنجاح.

وقد توجهتُ رأساً الى حظيرة السيّارات المدرّعة وأيقظت آمرها وسلمته أمر القائد وفي خلال ساعة من الزمن كانت السيّارات مهيّأة للحركة. فخصصت لي إحداها، وما كانت الساعة بين السادسة والسابعة صباحاً من يوم ٢٢ تشرين الأوّل

حتى تحركت السيّارات المدرّعة، وبعد ربع ساعة سمعنا بضع طلقات من المدافع التركية في الجهة الشرقية وسمعنا كذلك صوت البندقيات والرشاشات في الجهة نفسها فأصدر آمر سرية المدرّعات أمره الى أمراء الرعائل بالتوجه نحو الجبهة الجنوبية والتقدم الى الأمام الى خطٍّ معين، أمّا أنا فقد طلبتُ الى سائق سيارتي أن يتقدم قدر استطاعته وأن لا يقف إلّا عند الضرورة. وكان من حسن الصدف أنّ سيارتي كانت تسير على طريق جيّد. فتقدمنا ببطء اجتناباً لوقوعنا في الفخ ولم نصادف في طريقنا أي أثر للأتراك ولمّا وصلنا الى أوّل بناء في ضواحي حلب، كانت الساعة بعد الثامنة صباحاً، فرأيتُ أعلاماً بيضاء ترفرف على المباني وتجمهر الأهلون على النوافذ والسطوح ينظرون إلينا مهلّلين ومرحّبين فسألتُ عن الأتراك فقيل لي خرجوا من المدينة قُبيل الفجر تاركين وراءهم فلول بعض الوحدات لحماية تراجعهم، فوجهتُ سائق سيارتي الى السراي مباشرة وكنتُ أعرف المدينة وطرقها وبعد بضع دقائق تعانقنا مع الضبّاط الذين كانوا في السراي ينتظروننا بفارغ الصبر. وقد أيّد لي هؤلاء الضباط خبر مغادرة الأتراك المدينة قُبيل الفجر وأكّدوا لي أنَّ قواتهم غير بعيدة عن حلب وأنه يمكن تعقّبها بالسيّارات المدرّعة.

فكتبتُ بضع كلمات الى قائد الفرقة البريطانية ماكندرو أخبرته فيها بما تَمَّ وبأنَّ القوات التركية لا تبعد عن حلب كثيراً، ورجوته أن يوجه فرقة الخيّالة الى محطة المسلمية وأرسلت كتابي هذا مع سائق السيّارة التي نقلتني الى السراي.

وبين الساعة التاسعة والعاشرة صباحاً من اليوم نفسه، دخلت القوات النظامية مدينة حلب من الجهة الشرقية.

تنظيم الإدارة المحليّة

وبينما كنتُ في السراي جاءني المرحوم ناجي السويدي فعانقني ثمَّ رجوته أن يجمع وجوه حلب في السراي للنظر في تنظيم الإدارة المدنية. وقد عيّنت علي رضا العسكري حاكماً عسكرياً مؤقتاً فيها وعبد الحميد الشالجي آمراً عسكرياً لمركز مدينة حلب وجعلتُ قوّة نظاميّة تحت أمرته، كما فعلنا في دمشق، وأمرت بخروج القوّة العشائرية الى خارج المدينة لئلاّ تتكرّر حوادث النهب التي وقعت في دمشق.

ولّما حان وقت الظهر، كنت قد اتخذتُ أوتيل بارون في حلب مقراً للقيادة، فجاءني الجنرال ماكندور مهنئاً ثم أخبرني بقرب وصول اللواء المتقدم من فرقته الى موقع يقع الى جنوب خان توما. وقد اتخذنا في المساء تدابير مؤقتة لحماية حلب من الشمال في اتجاه باب السبيل.

وفي يوم **٢٤** تشرين الأوّل أرسلنا بعض القوات البدوية الى أطراف حلب لتستطلع حالة القوات التركية وتتأكد من تقهقرها مسافة أكثر من إثنا عشر كيلومتراً في شمال حلب واكتفينا بترصد القوات التركية.

وفي صباح يوم **٢٦** تشرين الأوّل جاءني الجنرال ماكندرو وأخبرني بأن كتيبة كانت في مقدمة فرقته هاجمت القوّة التركية بالقرب من المسلمية فتغلبت عليها القوات التركية وأبادتها، وانه

يعتقد بأنّ الجيش التركي لا بدّ أن يُعيد الكرّة على حلب وان الفرقة الخامسة لوحدها، وحتى لو تقوت بالفرقة الرابعة البعيدة عن حلب، لا تستطيع المقاومة في هذه الجبهة وذلك لقلة عتادها ومؤونتها فضلاً عن أنها أصبحت منهوكة القوى. لقد استفزني الجنرال ماكندرو بحديثه هذا للقيام بعمل ما.

فاستدعيتُ على الفور علي رضا العسكري وطلبتُ منه أن يجمع العشائر والمتطوعين من أهل حلب ويهاجم محطة المسلمية في يوم ٢٧ تشرين الأوّل وأخبرته بأنَّ الجحفل سيتقدم عن طريق باب السبيل والمسلمية وراء القوات المتطوعة.

وعند تنفيذ هذه الخطة وجدنا أنَّ القوات التركية قد انسحبت عندما رأت تقدم العشائر وأخلت محطة المسلمية قبل أن تصل قواتنا الى خطوطها وبدون أيّ تصادم. فأشغلنا المحطة وأخبرنا الجنرال ماكندرو بما تمَّ في ذلك اليوم.

وفي ٢٨ تشرين الأوّل تقدمت بعض ألوية الفرقة الخامسة الهندية الى محطة المسلمية.

ولدى التحري عن أسباب إبادة الكتيبة التي هجمت على القوات التركية في صباح يوم ٢٦ تشرين الأوّل، ظهر انها لم تطبق القواعد العسكرية في هجومها، فانها بدلاً من توجيه الهجوم أوّلاً على أحد اجنحة خطوط الدفاع التركية، هجمت على قلب خطوط الدفاع مما سهَّل تركيز نيران البندقيات والرشاشات عليها من القلب والجناحين فلم ينج منها إلاّ قليل

من الضبّاط والجنود. وقد أقام الجيش البريطاني نصباً تذكارياً لهذه الكتيبة لا يزال باقياً الى الآن.

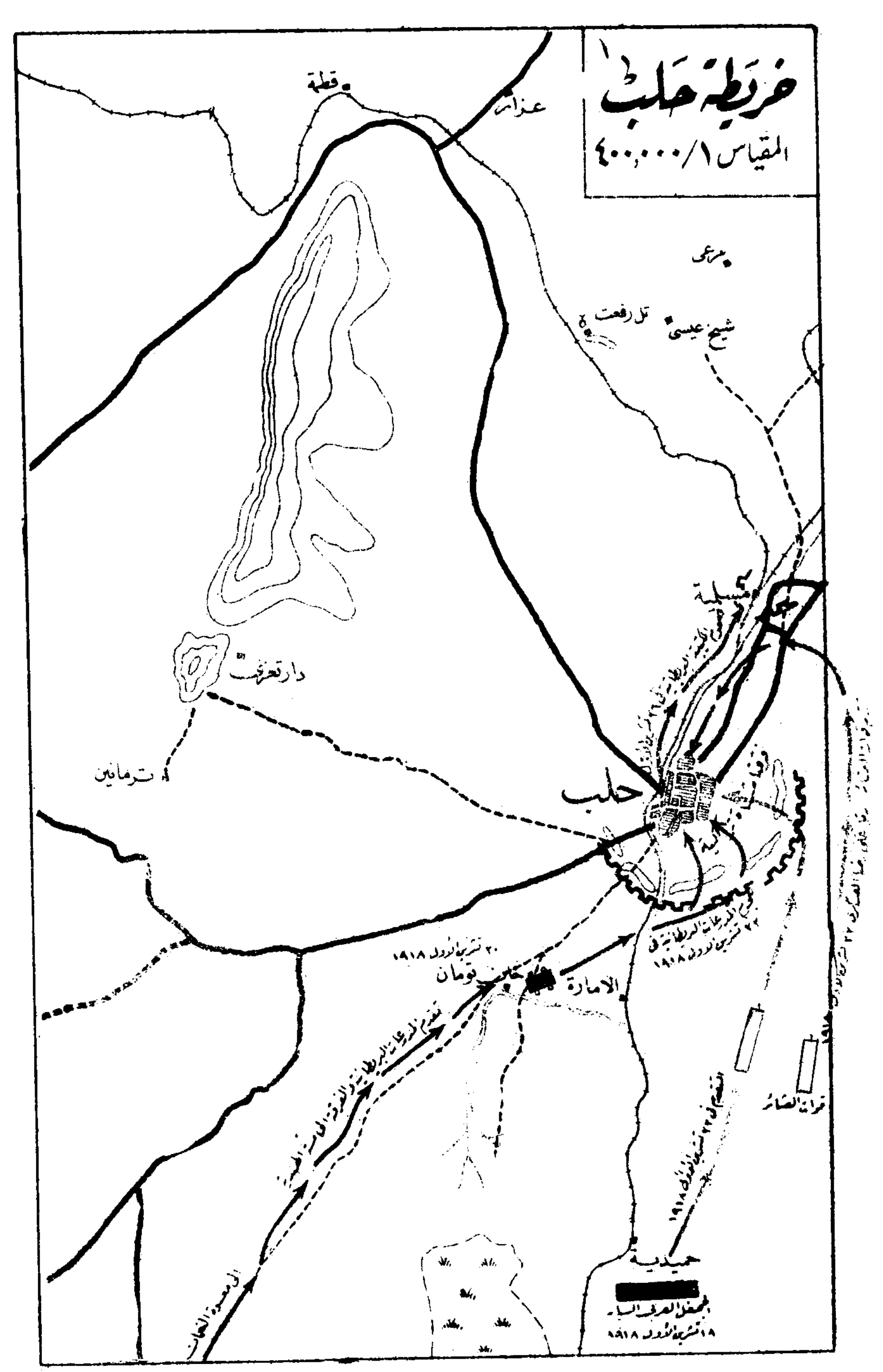
وفي يوم **٢٩** تشرين الأوّل أرسلنا فريقاً من خيّالة العشائر للإستطلاع حول القوات التركية التي انقطع الإتصال بيننا وبينها. فعلمنا أنها في محطة قطمة. وقد استمر هذا الإستطلاع حتى بلغنا خبر الهدنة في ١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨.

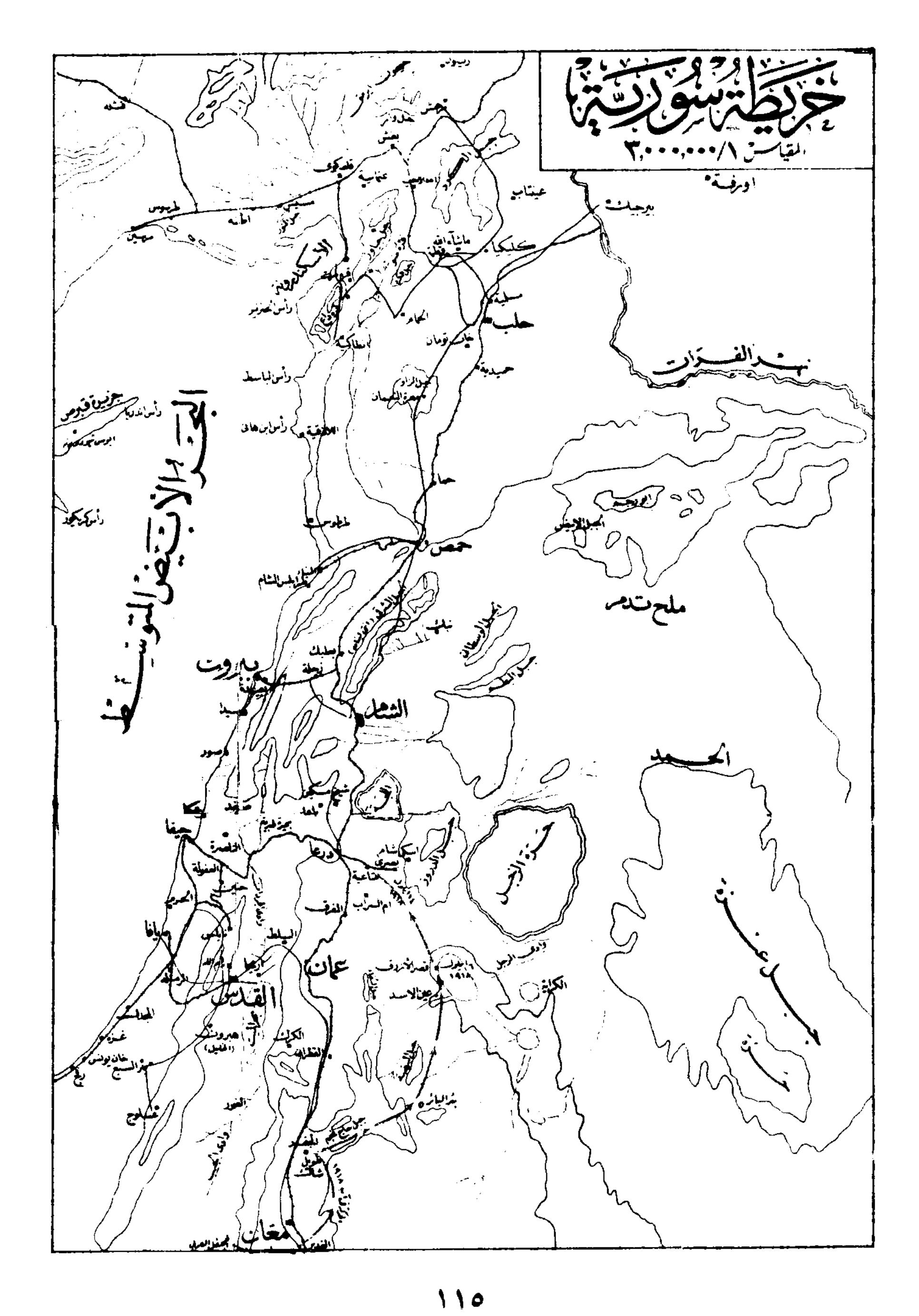
الخاتمة

وفي الساعة التي أُنهي فيها محاضراتي هذه، وكلّي أمل أن تكونوا قد استفدتم منها من نواحي عدّة، واطلعتم على صفحة من صفحات تاريخ أُمتكم الحديث وكفاح رجالها، الذين قد تفيدكم تجاربهم في أثناء خدمتكم لمجد وطنكم ومليككم.

في هذه الساعة نفسها أتقدم بعظيم شكري الى سيِّدي صاحب السموّ الملكي الوصي المعظّم لتفضله بالإستماع الى محاضراتي، كما أستميحُ سموّه عذراً لما أضعته عليه من وقت ثمين، فقد كنتُ أقصد الإيجاز ما استطعت إلّا أنَّ تتابع الحوادث كان الغالب على أمري حتّى استغرقت المحاضرات أكثر ممّا كنتُ قد قررته لها من الوقت.

وأخيراً أشكركم وأتمنى لكم التوفيق.


خريطة حلب
المقياس ١/٤٠٠,٠٠٠
عزاز
قطمة
شيخ عيسى
تل رفعت
دارتعزة
ترمانين
حلب
الامارة
خان تومان
حميدية
١٨ تشرين الاول ١٩١٨



خريطة سورية
المقياس ١/٣،٠٠٠،٠٠٠
اورفة
نهر الفرات
حلب
حماه
حمص
ملح تدمر
بيروت
الشام
عكا
حيفا
يافا
القدس
عمان
معان
البحر الابيض المتوسط
الحماد
درعا



فهرس الكتاب



عن الكتاب

إن الأهمية التاريخية لهذه المذكرات التي ألقاها نوري السعيد على طلاب كلية الأركان ببغداد عام ١٩٤٧ ، تصور المعارك الحربية التي نشبت بين الثوار العرب في الجزيرة العربية بقيادة الشريف الحسين بن علي وبين الجيوش التركية في الحجاز للفترة بين ١٩١٦ ـ ١٩١٨ .

إن هذه المذكرات عن الثورة العربية في الجزيرة العربية وفي سوريا والعراق تكتسب أهمية كبيرة من الناحيتين العسكرية والتاريخية ، ويورد فيها حقائق وملابسات الصراع الذي دار بين الجيوش الانكليزية والجيوش التركية والجيوش العربية التي دخلت الحرب إلى جانب الانكليز .

الدار العربية للموسوعات .